مكتبة
# الشيخ كشك

# رحلة مباركة مع القرآن العظيم

المكتب المصرى الحديث

عبد الحميد كشك

# رحلة مباركة مع القرآن العظيم

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م




www.almaktabalmasry.com
info@almaktabalmasry.com

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثنى عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فإنه مما يدعو إلى الرجاء فى الأمة الإسلامية عامة وفى الدعاة إلى الله بصفة خاصة، أن تقبل على المناهل الصافية فى علوم الإسلام ومما يزيد فى هذا الأمل أن يترجم هذا الكلام إلى عمل.

فقد مدح الله تعالى قومًا يستمعون القول فيتبعون أحسنه فقال:
﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

لقد كان أول أمر صدر منك إلى حبيبك ومصطفاك أمرًا بالقراءة:
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

وفى الأمر بالقراءة أمر بالكتابة، فقد علّمت بالقلم، ووظيفة القلم . الكتابة .وأقسمت بالقلم فقلت:

﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾.

وقد أمر حبيبك ومصطفاك بالكتابة فقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لما سأله وقال له:
يا رسول الله إنك بشر تغضب وترضى، أفنكتب عنك وقت الغضب؟

قال له الرسول الكريم:
"**أكتب فوالله ما خرج منه إلا حق**" مشيرًا إلى فمه الشريف.

سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى هاديا وابن البتول فعلَّم الإنجيل

فيا أيها المسلمون أقبلوا على كتاب الله وسنة رسوله علمًا وعملاً، رواية ودراية، وكونوا على بصيرة من أن: "**من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معًا فعليه بالعلم**".

فالعلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال .ولا بد مع العلم من التخلق بالخلق الكريم.

لا تحسبنا العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق
فإذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

لقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم هاديًا ومعلمًا، فكان هو الأمى الذى علَّم المتعلمين، واليتيم الذى بعث الأمل فى قلوب البائسين، لقد جعل الله بعثته نعمة، لا تدانيها نعمة،

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

لقد جاءت هذه الآية استجابة لدعوة إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لما دعا ربه- فقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. وصلوات ربى وسلامه عليك أيها النبى الكريم، يا من بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة ومحوت الظلمة، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين .فجزاك الله عنا يا سيدى يا رسول الله خير ما جزى نبيًا عن أمته ورسولاً عن قومه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## رحلة مباركة مع القرآن العظيم

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ صدق الله العظيم.

عندما يلجأ المسلم إلى الله ويركن إلى جنابه: ينشرح صدره، ويشعر قلبه بالطمأنينة، ويستقر فؤاده بالسكينة.. وهل يجد البشر فى أرجاء هذه الدنيا منارًا يستضيئون به أو يأوون إليه إذا لفحتهم حرور الحياة: أفضل وأعز من كتاب الله؟

إننى أقف مرفوع الرأس عزيز الجانب، عندما أقرأ هذا الحديث الشريف الذى دار بين معاذ بن جبل وبين نبى الرحمة وإمام الهدى محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول معاذ:

يا رسول الله: عظنا موعظة ننتفع بها، فبأى شئ وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟

كانت الموعظة تحديدًا للمفاهيم وتبيانًا للحقائق بأسلوب فيه الإعجاز والبلاغة كلها:

قال الرسول ﷺ فى موعظته:

**"إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والهدى يوم الضلالة، والظل يوم الحرور، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن، حرز من الشيطان، ورجحان فى الميزان".**

صدقت يا سيدى يا رسول الله.

فالقرآن هو القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة، والمنهج المستقيم، وهو الضياء، والدواء، والشفاء، وهو مفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة.

**أقوال الأئمة فيه:**

وقد ذكر الإمام الطبرى أن القرآن الكريم من أعظم ما خص الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، الذى لو اجتمع جمع من جنِّها وإنسها وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لما استطاعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، فجعله لهم فى دجى الظلم نورًا ساطعًا، وفى ظلمة الشبهة شهابًا لامعًا. وفى مضلة المسالك دليلا، وإلى سبل النجاة والحق هاديًا.

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

حرسه بعين منه لا تنام، وأحاطه بركن منه لا يضام، لاتهى على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد الحجة تابعه، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه، من اتبعه فاز وهدى، ومن حاد عنه ضل وغوى.

فهو موئلهم الذى إليه عند الإختلاف يئلون، ومعقلهم الذى إليه فى النوازل يعقلون، وحصنهم الذى به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التى إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذى إليه ينتهون، وعن الرضا به يصدرون، وحبله الذى بالتمسك به من الهلكة معتصمون.

ويقول الإمام الزركشى فى مقدمة كتابه:
"البرهان" كلامًا كالدر النظيم، رأينا أن نسجله هنا، لما له من روعة وجلال يقول رحمه الله:

أما بعد، فإن أولى ما أعملت فيه القرائح وعلقت به الأفكار اللواقح، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف ن حقائق التأويل، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة. وهو شفاء الصدور،

والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذى ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل معقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه إلى ما ينشط السامع، ويقرط المسامع من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، و تصدير بالحسن جدير، وترديد ما له مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة،والصناعة الرفيعة، فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، كل كلمة لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها عزة، ومن بهجتها درة، لاحت عليها بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر النفوس بتمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشارته وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة وأمثال سائرة وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، بالتنزيه والتحميد سائره، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار، إن كان سياق الكلام ترجية: بسط. وإن كان تخويفا: قبض. وإن كان وعدًا: أبهج وإن كان وعيدًا: أزعج. وإن كان دعوة: حدب. وإن كان زجرة: أرعب، وإن كان موعظة: أقلق، وإن كان ترغيبًا: شوّق! فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا تستقصى معانيه فهم الخلق،ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، وأصطفاه به وتذكره.

**أقوال المستشرقين فيه:**

قال "جاستون كارمن" من مستشرقى فرنسا المشهورة فى سلسلة مقالات نشرها فى جريدة "فيجارو عام ١٩١٣م":

إن القرآن وهو منبع هذا الدين العقلى ودستوره، قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم، ففى إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التى نشرها الإسلام.

ويقول المؤرخ الإنجليزى "إدوارد كيبون":

إن موحداً ذا رأس فلسفى لا يتردد لحظة فى قبول وجهات نظر الإسلام، فالإسلام دين أعلى من تطورنا الفكرى اليوم!

أخى المسلم:

أقبل على القرآن وتفهم معانيه، فليس هناك شك فى أن عدم الوقوف على تفسير القرآن الكريم يجعل الإنسان جاهلاً بمقاصد هذا الكتاب الإلهى المجيد.

ولذلك جاء فى تفسير الطبرى قوله:

حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى آيات القرآن من المواعظ والتبيان، بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ:

﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾

وقوله:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

وما أشبه ذلك من آى القرآن التى أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات، لأنه محال أن يقال لمن

لا يفهم ما يقال له، ولا يعقل تأويله اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان، إلا على معنى الأمر بأن يفهم ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به.

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك وطلبه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

لقد ذم الله أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتابه المنزل عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا نحن المسلمين أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا من تعلم كتابه، المنزل إلينا، وتعلمه وتفهمه وتفهيمه.

فإن أصحاب محمد ﷺ الذين تخرجوا فى أعظم مدرسة: تتلمذوا فيها على يدى الكتاب والسنة -كنت تسمع القرآن منهم وله دوى كدوى النحل.

حفظوه فى صدورهم، وعملوا به فى حياتهم، وفتحوا به الدنيا فدانت لهم، فلما أهملنا نحن هذا النهج تفرقت كلمتنا، وأصبحنا مطمع الحاقدين، وهانت علينا أنفسنا، فهنا على الناس.

اللهم أجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همنا وغمنا.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الحث على مدارسة القرآن

بدأنا فى مقالنا السابق رحلتنا مع القرآن الكريم وأقوال الأئمة والمستشرقين فيه، والآن نواصل ما بدأناه فى تلك الرحلة المقدسة فنقول وبالله التوفيق:

لقد بلغ من ترغيب الرسول ﷺ فى الحرص على تلاوة القرآن ودراسته أنه قال:

**"ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".**

أخى القارئ الكريم:

أرأيت مكانًا أجل وأعظم من هذه الروضة المباركة؟

إنه مكان تتنزل فيه السكينة.. وما أدراك ما هى؟

إنها مملكة من ممالك الله العليا، يختص بها من يشاء من عباده.

إذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقرارًا، ومن ثم فقد ورد ذكر السكينة فى كتاب الله تعالى فى مواقف حاسمة تكاد تتخلع منها القلوب لشدة ما فيها من الهول، فإذا بالسكينة تنزل على الأفئدة كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى.

ورد ذكر السكينة عندما كان رسول الله ﷺ فى الغار مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

والموقف شديد يفسره قول أبى بكر :يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موقع قدميه لرآنا، فيقول السيد الجليل محمد ﷺ:

**"يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا".**

**وعندئذ تنزل السكينة، وهى النعمة العظمى فيقول سبحانه:**

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾

وفى غزوة "حنين"، وقد احتدم الخطب، وأدلهم الأمر، كما قال ربنا جلّ وعلا:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

فماذا حدث؟ والشدة قد استحكمت حلقاتها، فالكثرة العددية لم تغن شيئًا، والأرض بأرجائها الرحبة قد ضاقت، والنبى ﷺ فى ثبات وعزيمة ينادى: **"أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"**.

إنها السكينة قد نزلت، كما قال مولانا تبارك اسمه:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

وجاءت السكينة فى سورة "الفتح" امتنانًا من الله تعالى على عباده، لتكون غايتها ازدياد إيمان المؤمنين.

قال جل شانه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾

وتأتى السكينة فى موضع آخر من سورة "الفتح" أيضًا فى بيعة الرضوان، حين وقف الصحابة يبايعون رسول الله ﷺ على القتال صفًا واحدًا إن كان أهل مكة قتلوا عثمان بن عفان سفير رسول الله إليهم، فتنزل السكينة تثبيتًا وتقوية وتوكيدًا.

قال جل شأنه:

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

كما تجئ فى موضع ثالث من سورة "الفتح" أيضًا وذلك أثناء توقيع المعاهدة بين المسلمين والمشركين فى صلح الحديبية، وحين ركب سهيل بن عمرو مندوب المشركين رأسه ويأبى أن يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" ويكتب "باسمك اللهم" كما يأبى أن يذكر فى المعاهدة أسم رسول الله، بعنوان الرسالة، ويقول: بل أكتب محمد بن عبدالله، إلى غير ذلك من التعنت والتعسف، وعندئذ تثور ثورة المسلمين، لكن الله تعالى -لحكمة يعلمها، وخير كثير سوف يعود على المسلمين من تلك المعاهدة -ينزل السكينة على المؤمنين تثبيتًا وتقوية، يقول جل شأنه وصفا لهذا الموقف:

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

والمراد بكلمة "التقوى" هنا: هى كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

تلك مواقع السكينة فى جلالها وجمالها وكمالها إن تلك النعمة - كما جاء فى الحديث الشريف الذى ذكر آنفا -تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إنهم ينالون شرفا كبيرًا وقدرًا رفيعًا، إذ أن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى.

فما أعظم هذا الشرف!

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾.

وإذا علمت أن تلاوة القرآن وتدارسه له من الشرف ما يجل عن الوصف، فإن العلم به يزيد هذه المكانة قربًا وحبًا إلى الله.

قال مجاهد رحمه الله:
"أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل".

والمراد بهؤلاء: هم الذين يقرنون العلم بالعمل.

لذلك قال أبو عبد الرحمن السلمى: حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما -أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا. ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة.

إعلم يا أخى وفقك الله أن لتفسير القرآن أهمية كبرى، ليتسنى لك العمل بما فيه، وإلا فكيف يعمل الإنسان بما لا يفهم معناه؟

قال إياس بن معاوية رضى الله عنه: مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتم روعة، ولا يدرون ما فى الكتاب، ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما فى الكتاب.

**فضل تعلم القرآن والواجب على قارئه وحافظه:**

إن تعلم القرآن لهو نعمة من أعظم النعم التى امتن الله بها على عباده. ولقد قرنها الله تعالى باسمه العظيم، وجعلها مظهرًا من مظاهر رحمته، وقدمها فى الذكر على خلق الإنسان، وذلك لشرف القرآن وعلو قدره، إذ هو القائد الموجه، والمرشد الصدوق، والإنسان هو المقود والتابع، ومن حق القائد أن يتقدم المقود.

يقول سبحانه:
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾

فنعم الذى علم، ونعم القرآن، ونعم من تعلمه!

قال رسول الله ﷺ: "**القرآن حجة لك أو عليك**".

فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه :أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبادته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.

قال الله تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾

وقال عز وجل:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

يقول الإمام القرطبى رحمه الله، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد، الواحد الحى القيوم الذى لا يموت، ذو الجلال والإكرام والمواهب العظام، والمتكلم بالقرآن والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان،والمرسل رسوله بالبيان: محمد ﷺ أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين، الذى أعجز الفصحاء معارضته، وأعيت الأدباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

جعل الله آمثاله بشرى لمن تدبره، وأوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام.

وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار،

فقال تعالى:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾

خاطب به أولياءه ففهموا، ومن فهم مراده تعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، خلفاء أنبيائه وأمناؤه.

وهم أهله وخاصته وجيرته وأصفياؤه.

قال رسول الله ﷺ:

**"إن لله آهلين منا، قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته".**

فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويذكر ما شرح له فيه،ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحييه، فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيدًا فى القيامة على من خالف من أهل الملل.

قال الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

اللهم اجعل القرآن نور قلوبنا وجلاء همنا وحزننا، وشفاء صدورنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## آراء المنصفين من علماء الغرب فى القرآن الكريم

بعد أن تكلمنا عن فضل القرآن وتعلمه وتفهم معانيه، رأينا أن نذكر ما للقرآن من مكانة فى آراء المنصفين من علماء الغرب، حتى يتبين للذين يولون القرآن ظهورهم، ويتسللون لواذًا من أحكامه، يتبين لهم درجة العظمة التى شهد له بها قوم من المفكرين والغربيين وها هى ذى آراؤهم ننقلها كما جاءت عنهم.

قال "إدوار جيبوته" من مشاهير مؤرخى الإنجليز:

"إن موحدًا ذا دماغ مفكر، لن يتردد فى الاعتراف بوجهات نظر الإسلام، فقد يكون الإسلام دينًا أعلى من تطورنا الفكرى اليوم".

وقال المستشرق "كارلايل" وهو من أساتذة جامعة كمبردج:

"إن علوية القرآن فى حقيقته العالية فهو حافل بالعدل والإخلاص، والدعوة التى بلغها محمد إلى العالم حق وحقيقة".

وقال "ستنفاس" مؤلف قاموس عربى إنجليزى:

"القرآن واحد من أهم الكتب التى انتقلت إلى الناس ليستفيدوا منها.. فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة للناس بالتوفيق والهداية فى حياتهم".

ويقول "ديود" مؤلف كتاب "روح الشرق":
"الإسلام يقدم براءة النجاة للتابعين، وسجل أخلاق للمتبوعين ويؤيدهما بالدين".

ومن محاضرة عن الإسلام ألقاها "مانويل كنج" سنة ١٩١٥م فى كنيسة البرستمان "وهو من أفاضل علماء الإنجليز" قال:
"إذا كان فى عالم الإلهام أمر يدعى وحيًا، وكان للوحى وجود كامل، فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل".

وجاء فى عدد ١٢ أبريل سنة ١٩٢٢م لجريدة نيرايست:
"القرآن كتاب معجز، وخليق بالإعجاب من حيث التنزيل والترتيب.

إن لسان القرآن مخالف للساننا، وآراؤه تخالف آراءنا، ولكن إنكار قدره وقيمته وفضله وجماله من جهات كثيرة يكون حرمانًا من العقل والمنطق".

وقال المستشرق "سيد يو" فى كتابه "تاريخ بلاد العرب":
"القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفلسفة، فالفضيلة والرذيلة، والخير والشر، وماهية الأشياء الحقيقية، كلها مبينة فى القرآن، فقد أوحيت آياته إلى محمد ﷺ بحسب احتياجات الزمان وحوادث العهد".

ومن كتاب "حياة محمد" للفيلسوف الفرنسى "الكس لوازون":
"خلف محمد للعالم كتابًا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية التى كشفت حديثًا، أو المخترعات الحديثة، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية، مع ما نبذله من المساعى للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية".

وقال الكاتب الأمريكي "واشنطون ايروفيتنج":
"يحوى القرآن أسمى الآراء وأنفعها وأكثرها إخلاصًا"

وعن المستشرق والفيلسوف الألمانى "يوجان يعقوب رايس":
"ما إن يتعلم بعض الناس قليلاً من اللغة العربية حتى يقوموا بمحاولة الاستهزاء بالقرآن ولو استمعوا إلى قدرة القرآن المثيرة الفصيحة العظيمة المؤثرة،وأحسوا باللسان المحير للألباب، الذى استخدمه الرسول حين أفهم القرآن أصحابه :لوقعوا فى الحضرة الإلهية صائحين يا رسول الله أغثنا ولا تحرمنا من شرف الدخول فى أمتك".

أخى القارئ الكريم:
إن أى مسلم لا يتعلم القرآن ولا يفهم معانيه قد فاته خير كثير يجب عليه أن يتداركه قبل فوات العمر ، لما فى ذلك من الفضل العظيم له فى دنياه وآخرته.

فالقرآن فى الدنيا هدى ورحمة ، وفى الآخرة شفيع وحجة.

وقد جاء فى الحديث القدسى الجليل:
"إنه إذا كان يوم القيامة قال الله: أين جيرانى؟ فتقول الملائكة: ومن ذا الذى ينبغى أن يجاورك يا رب العزة؟ فيقول جل فى علاه: أين قراء القرآن وعمار المساجد".

وحسب من يقرأ القرآن أنه فى تجارة رابحة مع الله:
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

ويوم يشغلك القرآن وذكر الله عن مسألته تبارك وتعالى فسيعطيك الله أفضل ما يعطى السائلين.

قال ﷺ فيما رواه عن رب العزة جل فى علاه:

**"من شغله القرآن وذكره عن مسألتى: أعطيته أفضل ما أعطى السائلين".**

ولو علمت الخلائق ما فى القرآن من فضل: ما غفلوا عن تعلمه وتلاوته والعمل به!

وحسبك أيها المسلم فى هذا المقام قول رسول الله ﷺ:

**"فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".**

اقرأ يا أخي هذا الحديث متدبرًا معناه: هل يستطيع أحد أن يدرك حقيقة فضل الله، وهو صاحب العظمة المطلقة والكمال المطلق، صاحب العزة القائمة، والملكة الدائمة؟..

كمالاته لا تتناهى لا يحصرها عد، ولا يحط بها حد.

فقارن بين فضل القرآن العظيم، وبين غيره من الكلام، لترى هذا الفضل قد بلغ من علو الرفعة مبلغًا لا يسامى، إنه كفضل الله تعالى على خلقه.

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى هذه الأزمنة تعانى من الشدائد والأهوال ما يحرك العوالم ويسير الجبال، وإذا كانت الفتن التى تموج موج البحر قد عرضت على القلوب كما تعرض الحصير عودًا عودًا، فما المخرج من هذه الفتن وتلك الظلمات؟

يقول على كرم الله تعالى وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت يا رسول الله: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى .فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله،ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولاتلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع**

**منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا:**

**إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم"**

نعم يا سيدى يا رسول الله:

إن المسلمين لن يجدوا موئلاً يلجأون إليه ليعصمهم من الفتن الهوجاء، التى عصفت ريحها ببروقها ورعودها ورفالها، إلا أن يلجأوا إلى كتاب الله، فهو موحد القلوب على العقيدة، والباعث فيها روح الأخوة، خشعت له قلوب الجن عندما سمعوه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾.

بل لقد بلغ من إكرام الجن لهذا الكتاب العزيز عندما سمعوه أنهم قالوا:

﴿ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

فيا ليت الإنس من المسلمين إذا حضروا القرآن أنصتوا وتأدبوا كما أنصتت الجن.

إنك لتجد اللغو وتعاطى المشروبات ولعب الشطرنج والورق والنرد وغير ذلك من ألوان العبث. تراه أثناء تلاوة القرآن الكريم.

وما آخر المسلمين وأنزل بهم ما أنزل إلا بعدهم عن هذا القرآن: الذى من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به آجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

إنه المأدبة الكريمة لمن أراد أن يتعلم، فهو أستاذ المعلمين، ومرشد العباقرة الموجهين وعميد جامعة الإسلام العظيمة التى تخرج منها أساتذة الأخلاق وأساطين الفكر.

روى ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:
**"إن هذا القرآن مآدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن الكريم هو حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة من تمسك به، ونجاة من اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا تنقض عجائبه،ولا يخلق عن رد، فاتلوه، فإن الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات،أما أنى لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف".**

عليك أفضل الصلوات وأتم التسليمات يا سيدى يا رسول الله.

## الترغيب فى تلاوة القرآن

اسمع إلى ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قراءة سورة "البقرة" إذ يقول:
**"لا ألفين أحدكم واضعًا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله"**

وفى رواية: **"إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن".**

فيا معشر المسلمين: أقبلوا على هذه المأدبة واملأوا القلوب من خيراتها وأضيئوا بيوتكم بنورها، فإن الشيطان يرتعد ويهتز خوفا وفزعًا من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة فطاردوه بها، وإن البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يكون صفرًا ومقفرًا وخاليًا من البركة.. وما

أكثر الشياطين بشتى أنواعها :من أنس وجن ما أكثرهم فى البيوت، فسلطوا عليها مدفعية القرآن الثقيلة بعيدة المدى، فتصير هباءً منثورًا.

تعلموا القرآن وعلموه الناس، فقد أخبر رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف عن فضل هذا فقال: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**".

وقال ﷺ: "**مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن: مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر**".

واعلم يا أخى أن المقصود بالقرآن فى هذا الحديث الشريف أن تكون قراءة مقرونة بالعمل، فإن من يقرأ القرآن ولا يعمل بما فيه يكون موقفه أمام الله أدهى وأمر من غيره خصوصًا إذا أمر ونهى دون أن يأتمر وينتهى وصدق القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسًا عاملين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وإذا كان الرسول ﷺ قد شبه المؤمن القارئ العامل بالقرآن "بالأترجة" ـ وهى السفرجلة أو التفاحة ـ فذلك لطيب ريحها وحلو طعمها.

وقد روى أن من أتاه الله القرآن، فقام به آناء الليل وأطراف النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة الكرام.

قال سعد: "السفرة": الملائكة.

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
"**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**".

التتعتع: هو التردد فى الكلام عيًا وصعوبة.

وإنما له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة.

ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأن القرآن كان متعتعًا عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن أشبه الملائكة.

وهكذا تستمر المسيرة النبوية المباركة فى زحفها المقدس، تذكر لنا فضل القرآن وقارئه.

فهذا أبو هريرة رضى الله عنه يروى أن رسول الله ﷺ قال:
**"من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وما أجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه".**

وحسب أهل القرآن شرفًا وقدرًا أن القرآن يقف من صاحبه يوم القيامة أكرم المواقف، يسأل الله تعالى أن يمنح صاحبه الفضل العظيم.

**قال ﷺ: "يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرام، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول له: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة".**

هنيئًا لك يا من أعطيت هذا الشفاء وهذا الدواء والغذاء والهدى والرحمة والموعظة والبشرى.

هنيئًا لك إذا عملت بما علمت، إنك من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما على وجه الأرض أحد خير منك.

يقول صلوات الله وسلامه عليه:

**"من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة، ومن أعطى ثلثى القرآن فقد أعطى ثلثى النبوة، ومن أعطى القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها، غير أنه لا يوحى إليه ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارق، فيقرأ آية ويصعد درجة، حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له: اقبض، فيقبض ثم يقال له: أتدرى ما فى يديك؟ فإذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم".**

صلى عليك الله يا علم الهدى، يا من قال لك ربك:

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

ويا من قال لك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولو عملنا بما فيه لرفرفت راية الإسلام على كل بلد، ولو علمنا فضله ما غفلنا عنه!

يقول صلوات ربى وسلامه عليه:

**"من قرأ القرآن وتلاه وحفظه: أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته، كل قد وجبت له النار"!**

وقالت أم الدرداء:

دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ممن دخل الجنة؟

فقالت عائشة رضى الله عنها: إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن.

وقال ابن عباس رضى الله عنه:

من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب. وذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ .

قال ابن عباس:

فضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة.

وفى فضل القرآن يقول ﷺ:

**"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين".**

وينبغى لصاحب القرآن أن يطلبه بإخلاص لله تعالى، وأن يداوم على قراءته خشية أن ينساه..

فقد قال ﷺ:

**"مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت".**

وينبغى له أن يكون لله حامدًا، ولنعمه شاكرًا، وله ذاكرًا، وعليه متوكلاً، وبه مستعينًا، وإليه راغبًا، وبه معتصمًا، وللموت ذاكرًا، وله مستعدًا.

وينبغى أن يكون خائفًا من ذنبه، راجيًا عفو ربه، ويكون الخوف فى حال صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بما يختم له.

ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى فى نفسه، لحسن الظن بالله.

قال ﷺ: **"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله".**

وينبغى لصاحب القرآن أن يكون أهم أموره لديه الورع فى دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه..

قال ابن مسعود:
ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون.

فطوبى لك ثم طوبى لك يا حامل القرآن وعاملاً به!

إن رسول الله ﷺ قد جعلك فى مرتبة رفيعة، وخلع عليك أوسمة بديعة، فقال:
**"من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه"**

وروى أنس أن النبى ﷺ قال: **"القرآن أفضل من كل شئ، فمن وقر القرآن فقد وقر الله، ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله تعالى، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله. المعظمون كلام الله. الملبسون نور الله. فمن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى"**..

اللهم أجعل القرآن لنا نورًا يضئ ظلمات حياتنا ويهدينا سواء السبيل، إنك على كل شئ قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم.

## حرمات القرآن الكريم

هل علمت يا حامل القرآن وقارئه ما حرمة هذا الكتاب؟ وما يلزمك من أدب عند قراءته؟

إليك ما يلى:
قال الحكيم الترمذى أبو عبد الله فى "نوادر الأصول":

- فمن حرمة القرآن ألا يمسه القارئ له إلا طاهراً.
- ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة.
- ومن حرمته آن يستاك ويتخلل، فيطيب فمه إذ هو طريقه.

قال يزيد بن أبى مالك: إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم.

- ومن حرمته أن يلبس نظيفاً كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناج ربه.
- ومن حرمته أن يستقبل القبلة لقراءته.

وكان "أبو العالية" إذا قرأ اعتم أى لبس العمامة ولبس وأرتدى واستقبل القبلة.

- ومن حرمته أن يتمضمض كلما تنخع.

روى شعبة عن أبى حمزة عن أبى عباس :أنه كان يكون بين يديه ماء إذا تنخع تمضمض ثم أخذ فى الذكر وكان كلما تنخع تمضمض.

- ومن حرمته إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج له والتثاؤب من الشيطان.

قال مجاهد:
إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيمًا حتى يذهب تثاؤبك.

قال عكرمة:
يريد أن فى ذلك الفعل إجلالاً للقرآن.

- ومن حرمته أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة ويقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ.
- ومن حرمته إذا آخذ فى القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة.
- ومن حرمته أن يخلو بقراءته، حتى لا يقطع عليه أحد بكلام، فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذى استعاذ منه فى البدء.
- ومن حرمته أن يقرأه على تؤدة وترسيل وترتيل.
- ومن حرمته أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به.
- ومن حرمته أن يقف على آية "الوعد" فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وأن يقف على آية "الوعيد" فيستجير بالله منه.
- ومن حرمته أن يقف على أمثاله فيتمثلها وأن يلتمس غرائبه.
- ومن حرمته أن يؤدى لكل حرف حقه من الأداء، حتى يبرز الكلام باللفظ تمامًا، فإن له بكل حرف عشر حسنات.
- ومن حرمته إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وبلغ رسولك، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ثم يدعو بما يشاء من الدعاء.
- ومن حرمته إذا قرأه ألا يلتقط الآى من كل سورة فيقرأ، فإنه روى عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئًا فأمره أن يقرأ على السور.
- ومن حرمته إذا وضع الصحيفة ألا يتركه منشورًا، وألا يضع فوقه شيئًا من الكتب حتى يكون أبدا عاليا لسائر الكتب: علمًا كان أو غيره.

- ومن حرمته أن يضعه فى حجره إذا قرأه، أو على شئ بين يديه ولا يضعه بالأرض.
- ومن حرمته ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء.

وعليه أن يتوقى النجاسات من المواضع التى توطأ.

فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف الصالح يستشفى بغسالته.

- ومن حرمته ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فإن ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء.
- ومن حرمته ألا يخلى يومًا من أيامه من النظر فى المصحف ولو مرة.

وكان أبو موسى يقول:
إنى لأستحيى ألا أنظر كل يوم فى عهد ربى مرة!

- ومن حرمته أن يعطى عينيه حظهما منه فإن العين تؤدى إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن فى الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب، فإنما يسمع أذنه، فتؤدى إلى النفس، فإذا نظر فى الخط .كانت العين والأذن قد اشتركتا فى الأداء وذلك حرى للأداء، وكان قد أخذت العين حظها كالأذن.

روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **"اعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا يا رسول الله: وما حظها من العبادة؟ قال: النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه"**.

وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **"أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظرًا"**.

- ومن حرمته ألا يتأوله عندما يعرض له شئ من أمر الدنيا.

والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك.

"جئت على قدر يا موسى".

ومثل قوله تعالى:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾

يقال هذا عند حضور الطعام.. وأشباه ذلك.

- ومن حرمته ألا يتلى منكوسًا، كفعل معلمى الصبيان، يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه والمهارة، فإن ذلك مخالفة.

- ومن حرمته ألا يقرأه بألحان الغناء، كلحون أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ.
- ومن حرمته أن يجلل تخطيطه إذا خطه.

عن أبى حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة فمر على رضى الله عنه فنظر إلى كتابته فقال له :أجل قلمك، فأخذت القلم فقططته من طرفه قطًا، ثم كتبت وعلى رضى الله عنه قائم ينظر إلى كتابتى، فقال :هكذا، نوره كما نوره الله عز وجل.

- ومن حرمته ألا يجهر بعض القارئين على بعض فى القراءة.

وألا يمارى ولا يجادل فيه فى القراءات، ولا يقول لصاحبه ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القرآن فيكون قد جحد كتاب الله.

- ومن حرمته ألا يقرأ فى الأسواق، ولا فى مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء..

ألا ترى آن اللّه تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا؟!

هذا لمروره بنفسه. فكيف مرور القرآن الكريم تلاوة بين ظهرانى أهل اللغو ومجمع السفهاء؟!

- ومن حرمته ألا يتوسد المصحف، ولا يعتمد عليه، ولا يرمى به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله.
- ومن حرمته ألا يصغر المصحف:

روى الأعمش عن إبراهيم عن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه قال: "لا يصغر المصحف"

قلت: روى عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أنه رأى مصحفًا صغيرًا فى يد رجل فقال: من كتبه؟ قال: أنا. فضربه بالدرة وقال: عظموا القرآن.

وروى عن رسول اللّه ﷺ أنه نهى أن يقال: "**مسيجد أو مصيحف**".

- ومن حرمته آلا يخلط فيه ما ليس منه.
- ومن حرمته ألا يحلى بالترهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا.

عن أبى الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ:

"**إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار "الهلاك" عليكم**".

- ومن حرمته ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل ببعض المساجد المحدثة.
- ومن حرمته أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور.

ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات، لئلا يكون فى هيئة المهجور.

- ومن حرمته ألا يقال: سورة صغيرة، وكره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة، وقال لمن قالها: أنت أصغر منها وأما القرآن فكله عظيم. ذكره مكى رحمه الله.

وبعد:

أعلمت يا أخى هذه الآداب، وتلك الحرمات، وإذا كنت علمتها فهل عملت بها؟

فهلا عرفنا له حقه؟ وهل عملنا بقول رسول الله ﷺ:

**"قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب"؟**

وهلا عملنا بقوله: **"اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا"**.

فيا أخى: قم سلسل الدمع حزنًا على هذا العمر الضائع، وقم مزق الضلوع كمدًا على فساد القلوب الشائع، أما أن للقلوب أن تخشع؟

أما أن للنفوس أن تخضع؟
أما أن للعيون أن تدمع ؟
أما أن للأذان أن تسمع؟
أما أن للأجساد أن تسجد وتركع؟

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## حاجة العالم إلى الإسلام وعدالته

قال الله تعالى يخاطب السيد الجليل محمداً ﷺ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

وقال صلوات الله وسلامه عليه متحدثًا بنعمة الله عليه:

"إنما أنا رحمة مهداة"

وقال فيلسوف الإسلام "إقبال"

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحيى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

لما أراد الله تعالى أن ينقذ البشرية من ظلمات الحياة الداكنة، بعدما طال الليل المدلهم، فأصبح الذئب راعيًا، والخصم العنيد قاضيًا، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفا، وعمت الفوضى فى جميع أرجاء الدنيا، وعربد الباطل فى عرصاتها .بعد هذا كله: أذن الله للفجر أن يطلع، وللضباب أن ينقشع، فكانت بعثة السيد الجليل محمد صلى الله عليه وسلم الذى رفع راية العدل والطهر والتوحيد والإصلاح والإخلاص والمحبة، والذى أعلن فى سمع الزمان أن قوة التوحيد لابد أن تمحو ظلمات الباطل، وأن عدالة الإسلام لابد أن تزيد ظلم الجاهلية.

جاء ليطهر الأرض من أشنع جريمة عرفها التاريخ.. ألا وهى جريمة الظلم بأشمل معانيه إذ أنه الداء الوبيل الذى قوضت به الأمم العاتية، هلكت بسببه الجبابرة، ذلت بارتكابه أعناق القياصرة والأكاسرة.

جاء الرسول محمد ﷺ ليقرأ على البشرية هذه الآيات:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ .

وحذر الإسلام من عاقبة الظلم، فجاء فى القرآن العظيم:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

يا أخا الإسلام:

| | |
|---|---|
| إحذر من المظلوم سهمًا صائبًا | واعلم بأن دعاءه لا يحجب |
| وإذا رميت من الزمان بشدة | وأصابك الأمرالأشق الأصعب |
| فاضرع لربك إنه أدنى لمن | يدعوه من حبل الوريد وأقرب |

وما أجمل ما قالته امرأة فرعون المؤمنة حين اشتدت عليها وطأة الظلم:

﴿ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ما أشد حاجة الناس إلى العدالة الاجتماعية ,ولن يوجد من يحققها أفضل من الإسلام الذى تردد آيات كتابه على سمع الدنيا هذا القول الكريم:

﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ .

أجل! ما أشد حاجة البشرية إلى الإسلام الذى أذاع رسوله ﷺ هذا البيان عن ربه جل فى علاه:

**"يا عبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم .يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم، يا عيادى**

**إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوتيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه".**

ولمكانة هذا الحديث وجلالة قدره قال أبو سعيد رضى الله عنه: كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. "رواه مسلم"

وقال الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه:
ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

نعم: ما من شك فى أن المجتمع إذا تجرد من الظلم والأذى، فإن السعادة والطمأنينة والأمن سترفرف عليه بأجنحتها وتنشر فوق ألويتها، ولذا يقول رسول المحبة صلوات الله وسلامه عليه تبسمك فى وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة.

هذه خطوط لمجتمع الإسلام النظيف فى عقيدته وفى معاملته وعبادته وفى سلوكه:

نظيف اللسان، نظيف اليدين، نظيف العينين، نظيف السمع، نظيف القلب.

لقد أوضح الرسول ﷺ فى كلامه شناعة الظلم وقسوة ألمه على المظلوم فقال فى حديث له رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

"**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**" "رواه مسلم"

وقد سئل النبى ﷺ فقيل له:
أى الإسلام خير؟

فقال: "**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**"

وسئل صلوات الله وسلامه عليه: أى المسلمين خير؟

فقال: "**من سلم المسلمون من لسانه ويده**".

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾

ويحذر الرسول ﷺ من دعوة المظلوم فيقول فى حديث له:
"**.. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**". "متفق عليه"

## شهادة الخصوم للقرآن الكريم

يقول الدكتور: "موريس الفرنسى"
"إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبنى البشر، وإنه كتاب لاريب فيه"

ويقول: "هنرى دى كاسترى"
"إن القرآن ليستولى على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب، ولقد نزل على محمد دليلاً على صدق رسالته".

ويقول: "الكس لوازون"
"خلف محمد للعالم كتابًا هو آيه وسجل الأخلاق، وهو كتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثًا أو المكتشفات

الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية".

أما "واشنطن أر فنج" فيقول:
"يحوى القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصًا".

ويقول "جوتة":
"إن تعاليم القرآن الكريم عملية ومطابقة للحاجات الفكرية".

ومما قاله "ليون":
"حسب القرآن جلالاً ومجدًا: أن الأربعة عشر قرنًا التى مرت عليه لم تستطع أن تجفف - ولو بعض الشىء - من أسلوبه الذى لا يزال غضًا كأن عهده بالوجود أمس".

ويقول "جيمى متشيز" فى مقال له:
"لعل القرآن هو أكثر الكتب التى تقرأ فى العالم وهو - بكل تأكيد - أيسرها حفظًا وأشدها أثرًا فى الحياة اليومية لمن يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم، وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه إلى النثر.

ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد إيمانًا وسموًا، وأوزانه ومقاطعه كثيرًا ما قورنت بأصداء الطبيعة.

ومن الملاحظ أن القرآن يتسم بطابع عملى فيما يتعلق بالمعاملات بين الناس، وهذا التوفيق بين عبادة الله الواحد وبين التعاليم العملية، جعل القرآن كتابًا فريدًا، ووحدة متماسكة".

هذا هو القرآن الكريم، معجزة نبى الإسلام.

وصدق الله العظيم الذى يقول عنه:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**حق الرعية على الراعى فى الإسلام**

لقد خاطب الله كل من ولى أمرًا من أمور المسلمين بهذا الخطاب الصريح فى دلالته،

فقال سبحانه:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ﴾

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته،فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته،وكلكم راع ومسئول عن رعيته".**

ومن أكبر الكبائر أن يغش الأمير رعيته ويكتمهم نصحه.

عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشى لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة".** "متفق عليه"

وجاء فى صحيح مسلم ما يؤكد هذا المعنى فقد قال ﷺ: **"ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة".**

لقد بلغ من عناية الإسلام بالرعية والعدل معها فى جميع شئونها أن الرسول ﷺ يتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا:

**"اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم فشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به".** "رواه مسلم"

صدقت يا سيدى يا رسول الله:

فأنت النعمة المسراة، والرحمة المهداة، وصدق الله تعالى إذ يقول فى شأنك:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

عن أبى مريم الأزرى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم: احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة".**

فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس. "رواه أبو داود والترمذى"

أى عدالة هذه، وأى رحمة تلك؟

إنها عدالة الإسلام ورحمة نبى الإسلام الذى وصفه ربه بقوله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾.

لقد كنت يا سيدى يا رسول الله مضرب الأمثال فى العدل، حتى لقد اشتد غضبك عندما جاءك الحب بن الحب "أسامة بن زيد" يشفع فى امرأة شريفة فى قومها، وقد سرقت، قلت له يومها وقد عرف الغضب وجهك، وكنت لا تغضب إلا لله:

**"أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟"**

**والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".**

وحاشى لله أن تسرق فاطمة.

أليست ريحانه رسول الله ﷺ: رضاها من رضاك، وغضبها من غضبك؟

أليست فاطمة التى كانت تقوم على شئون بيتها: تأثرت يداها من الرحى، وتأثر نحرها من حمل قربة الماء، واغبرت ثيابها من كثرة ما كنست بيتها، وجاءك سبى فطلبت منك من يخدمها، فقلت لها بمنطقك السديد وعدالتك الباهرة:

**"لا أعطيك وأدع أهل الصفة"**

تعنى فقراء المسلمين الذين عرفوا بمكانهم فى مسجدك الشريف، وقلت لها يا فاطمة:

**"أتقى الله وأدى فريضة ربك، واعملى يعمل أهلك، فإذا أويت إلى فراشك فقولى: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك، ثم قولى: لا إله إلا الله، فهذه المائة خير لك"؟**

فماذا قالت؟

قالت بلسان الرضا ومنطق القناعة: رضيت بالله ورسوله.!

ألست أنت الذى جعلت الإمام العادل فى سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

**"سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال**

**إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"**! "متفق عليه"

أى شريعة وأى نظام بلغ من سمو الفكرة ونظافة المعاملة ما بلغه الإسلام؟

أعلمت مكانة المقسطين عند الله يوم القيامة؟

اقرأ فى ذلك ما رواه الإمام مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

**"إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا"**. (رواه مسلم).

وبين الرسول خيار الأئمة شرارهم بيانًا يقوم على ميزان عادل ومقياس دقيق فيقول:

عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"**.

ويبشر رسول الله ﷺ: المقسطين والرحماء الأعفاء بهذه البشارة الكريمة فيقول:

**"أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال"**. (رواه مسلم)

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عملاق الإسلام، و فاروق هذه الأمة - يعلن فى سمع الزمان هذا المبدأ الخالد، بعدما تولى خلافة المسلمين بعد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقول:

"أيها الناس: الضعيف فيكم قوى حتى أخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه".

ويقول فى رسالته لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى أمر القضاء:

"آسس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك".

وها هو ذا "ضرار الصدائى" يصف أمير المؤمنين عليًا كرم الله وجهه، وما انصف به من العدالة والإنصاف فى الرعية فيقول:

"كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبذئه لعظمته. يعظم أهل الدين ويحب المساكين. لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه".

وهل ينس التاريخ هذا الموقف الإسلامى المشرف الذى وقفه الفاروق من "عمرو بن العاص" حين علم أن ابنه ضرب أحد أبناء الرعية، وقد قال كلمته الخالدة: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

وحسبك يا أخى أن تعلم أن الإسلام يبنى عزائم المؤمنين لإقامة الحق والعدل مع الصديق والعدو، مع الفقير والغنى. ومن جليل ما يذكر فى هذا المجال ما جرى بين على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب، وقد تحاكم الأول امام عمر، وكان الخصم يهوديًا، وكان عمر- كعادته ينادى عليًا قائلاً : يا أبا الحسن، فلما ناداه فى هذه المرة وهو يتحاكم أمامه كعادته، ظهر الغضب على وجه على، فظن عمر أن عليًا يتبرم من وقوفه مع اليهودى على قدم المساواة، وعلى هو من تعلم حسبًا ونسبًا وإيمانًا وصدقًا...

قال عمر لعلى: أكرهت أن يكون خصمك يهوديًا؟

فقال على رضى الله عنه: إنما غضبت لأنك لم تسو بينى وبين خصمى اليهودى، إذ ناديته باسمه وناديتنى بكنيتى.

إنهم فتية آمنوا بربهم فعرفوا الهدى الإلهى والعدل الربانى حكامًا ومحكومين لأنهم سمعوا آيات الله تتلى عليهم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

إن عليًا يقف فى ساحة القضاء مع خصم يهودى يأبى عليه دينه أن يترك لفظًا تشم منه رائحة التعظيم له فيغضب، ويعد هذا تميزًا فى موطن القضاء ورد الحقوق.

صلى عليك الله يا علم الهدى، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين بخير مبادىء عرفتها البشرية جمعاء وخير قوانين للحكام والمحكومين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الإسلام شريعة الأخلاق

ما أشد حاجة البشرية إلى الإسلام، سيما فى عصر اجتاحت فيه التيارات المختلفة باسم العلم كل القيم، فاهتزت المعايير الخلقية، وانتكست المثل العليا، فأصبح الاتصال الجنسى يسمى حبًا، والفوضى والهمجية تسمى حرية، والقيم والأخلاق والمثل تسمى بالجمود والرجعية.

حتى قال بعض المفكرين الماديين: إن الأخلاق قيد لا معنى له!.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون: فقد جاءوا ظلمًا وزورًا.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

إن من الحقائق الثابتة أن الحياة بدون قيم: جحيم مستعر، ووباء لا يعرف الرحمة، يحصد الأخضر واليابس، ويحيل زهرة الحياة إلى هشيم تذروه الرياح.

من هنا جاء الإسلام ليعلن فى سمع الدنيا على لسان رسوله الكريم محمد ﷺ: **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".**

**"إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم".**

**"ليس شىء أثقل على الميزان من حسن الخلق".**

**"حسن الخلق يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل".**

جاء الإسلام ليقيم فى النفس البشرية هذه الممالك: اليقين، الرحمة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف من الله، الزهد، التوكل، الرضا، المحبة...

وهل هناك فى الوجود مجتمع أعظم من أمة تقوم على تلك المبادىء الثابتة، والأركان الوطيدة؟!

اسمع إلى قول الحبيب المصطفى ﷺ:

**"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".**

ويزداد حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على سلامة المجتمع من أى أذى مهما كان ضئيلاً،

فتراه يقول: **"من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء"!**

وقف مليًا، خاشع البصر، متأمل الفكر، فى هذه اللوحة النبوية البديعة التى رسمها سيد البشرية فى قوله:

**"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".**

فلو أوتيت سحر البيان الذي تخر له العمالقة، ومنحت ريشة من الجنة، وأعطيت قدرة التعبير على التصوير ما استطعت أن أخط سطرًا أمام هذا البيان المعجز، والروعة الرفيعة، من هذا الحديث الشريف الذى صور المجتمع الكامل المسلم المتراحم المتآلف.. إنه كالجسم فى خلاياة التى تكون الأنسجة، التى تكون الأعضاء، التى تكون الأجهزة، يعمل متعاونًا متكافلاً، لا شقاق ولا قطيعة، لا غيبة ولا نميمة، لا اعتداء ولا فجور، لا سخرية ولا تجسس، لا إثم ولا فسوق.

طهارة فى اللسان، ونظافة فى القلب، وبقاء فى العين، وصفاء فى العقل، وحصانة فى السمع،وأمانة فى اليد، وعفة فى الفرج، وحفظ للرأس وما وعى، وصيانة للبطن وما حوى.

### محمد نبى الرحمة

أسمعت إلى هذه الرحمة النبوية بالأبناء، وكيف ذهل أحد الأعراب لرؤية هذا المنظر الرائع؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

"قبَّل النبى صلى الله عليه وسلم الحسن بن على رضى الله عنهما وعنده الأقرب بن حابس، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: **"من لا يَرحم لا يُرحم"**

وعن عائشة رضى الله عنها قالت:

**"قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم،فقال: لكنا والله لا نقبل، فقال رسول الله ﷺ أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟!"**

وتشمل الرحمة فى الإسلام جميع نواحى الحياة لا تدع صغيرة ولا كبيرةإلا رفرفت عليها بآجنحتها وغمرتها بأنوارها..

اسمع إلى الرحمة فى العبادة، وعلى رأسها الصلاة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه آن رسول الله ﷺ قال:

**"إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء".**

وعن عائشة رضى الله عنها: **"نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة بهم، فقالوا: إنك تواصل. قال: إنى لست كهيئتكم، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى".**

أى جعل فى قوة من أكل وشرب.

سيدى يا أبا القاسم يا رسول الله

| | |
|---|---|
| وإذا رحمت فأنت أم أو أب | هذان فى الدنيا هما الرحماء |
| يا من له الأخلاق ما تهوى العلا | منها وما يتعشق الكبراء |
| زانتك فى الخلق العظيم شمائل | يغرى بهن ويولع الكرماء |

تأخذنى الدهشة ويستولى علىّ العجب، وكأنى أقف فى وهرة سحيقة، وأرنو بناظرى إلى قمة شماء تتخلع الرقاب عند زراها.

إن تلك القمة الشماء هى شخص رسول الله ﷺ وقلبه المفعم بالرحمة! تأمل جليل رحمته وجميل عطفه فى هذا الحديث الذى رواه أبو قتادة الحارث بن ربعى رضى الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ:

**"إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبى فأتجاوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه".** "رواه البخارى"

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

**"من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمة بشىء، فإن من يطلبه من ذمته بشىء يدركه ثم يكب على وجهه فى نار جهنم".** "رواه مسلم"

يا معشر المسلمين:

تعالوا لنلقى نظرة على جانب الرحمة بالمجتمع، وكيف رسم الشرع الكريم خطوطها العريضة، ومناهجها القويمة.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

**"المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة".**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

**"المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه، التقوى ها هنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم".** "رواه الترمذى"

وهذا معيار الإيمان وميزان التصديق، يبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله:

**"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".**

وهذه صورة أخرى من صور النصيحة والنجدة، يوضحها سيد المرسلين فى قوله:

**"انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلومًا، أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره".** "رواه البخارى"

وينتقل الإسلام بعد ذلك فيفيض فى بيان حقوق المسلمين بعضهم على بعض..

يقول ﷺ: "حق المسلم على المسلم: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس". وفى رواية لمسلم:

"حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".

وبعد...

فهذا غيض من فيض، وجزء من كل، وقطرة من بحر، وكفى بالإسلام رحمة أنه فتح أبواب الجنة بروضها وريحانها لرجل سقى كلبًا كان قد اشتد به العطش حتى أخذ يلهث الثرى، فشكر الله له صنيعه، فغفر له، ويكفى الإسلام حزمًا ونهيًا عن القسوة أنه فتح أبواب جهنم لامرأة عذبت هرة حبستها، لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعًا، فأدخلها الله النار بسبب ذلك.

وصدق الله تبارك وتعالى فى رسوله الأمين

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## ذكر الله تبارك وتعالى

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

قال أحد العلماء العارفين بالله: إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، فقال له أحد الجالسين: فكيف إذا ذكر الله؟

قال العالم العارف: إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة

أو ما قرأت قوله تعالى:
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

أيها المسلم الكريم:
ليس الذكر كلمات جوفاء يرددها اللسان دون حضور القلب والعقل، فإنه إذا كان كذلك كان ذكرًا مبتورًا.

ولذلك فإن الله جل شأنه قرن بين الذكر والتفكر فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

وقد رأى الإمام على كرم الله وجهه رجلاً يستغفر الله بصورة خيالية من الخشوع واستحضار الفكر، فقال له: يا هذا إن استغفارك هذا فى حاجة إلى استغفار.

**حقيقة الذكر:**

إن الذكر ليس قاصرًا على اللسان وحده بل هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تبارك وتعالى، وتنزيهه، وحمده، والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال، ونعوت الجلال والكمال.

ولذا قالوا: إن الذكر على سبعة أنحاء:

- فذكر العين البكاء.
- وذكرالأذنين الإصغاء.

- وذكر اللسان الثناء.
- وذكر اليدين العطاء.
- وذكر البدن الوفاء.
- وذكر القلب التسليم والرضاء.
- وذكر الروح الخوف والرجاء.

و قد أمر الله تعالى بالإكثار منه فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ .

وأخبر آن من يذكر من يذكره، فقال جل شأنه:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

وقال فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم:

**"أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى. فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرًا تقربت إليه زراعًا، وإن تقرب إلىّ ذراعًا تقربت إليه باعا. وإن أتانى يمشى أتيته هرولة".**

وقد اختص سبحانه أهل الذكر بالتفرد والسبق، فقال رسول الله ﷺ:

**"سبق المفرودن. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات".** (رواه مسلم)

وأنهم هم الأحياء على الحقيقة..

فعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

**"مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت"** (رواه البخارى).

والذكر : رأس الأعمال الصالحة، من وفق له فقد أعطى منشور الولاية، ولهذا كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

ويوصى الرجل الذى قال له: إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ، فأخبرنى بشىء أتشبث به فيقول له:

**"لا يزال فوك - فمك - رطبًا من ذكر الله".**

ويقول لأصحابه:

**"ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخيرلكم من إنفاق الذهب والورق، وخيرلكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكرالله".** (رواه الترمذى وأحمد والحاكم)

والذكر سبيل النجاة.. فعن معاذ رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

**"ما عمل آدمى عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل".** (رواه أحمد)

وقال أيضًا :

**"إن ما تذكرون من جلاله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد: يتعاطفن حول العرش، لهن دوى كدوى النحل، يذكرون لصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به؟"**

**فضل الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى:**

أرشد الله عباده إلى الإكثار من ذكره. كذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة مبينة ما أعده الله للذاكرين من أجر عظيم، وفضل عميم، جاء فى الحديث القدسى قوله تعالى:

**"لا يذكرنى عبد فى نفسه، إلا ذكرته فى ملأ من ملائكتى، ولا يذكرنى فى ملأ إلا ذكرته فى الملأ الأعلى".**

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ:

**"إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه"**. (رواه ابن ماجه)

والمعية هنا: دليل التكريم الإلهى، والرفعة الربانية للعبد الذاكر، وكفى بمعية الله شرفًا وقدرًا.

وها هو ذا معاذ بن جبل رضى الله عنه يحدثنا فيقول:
إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال: **"أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله"**.

وتعالى معى يا أخى المسلم لنطوف هذه الطوفة المباركة، ونلقى بنظرة على رجل رآه سيد المرسلين ﷺ ليلة المعراج وقد نال من الرفعة المكانة القصوى.

يقول ﷺ:
**"مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش، قلت من هذا؟ أهذا ملك؟ قيل: لا. قلت : نبى؟ قيل: لا قلت من هو؟ قيل: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه"**. (رواه ابن أبى الدنيا)

وقد بلغ من مكانة الذكر عند الله تبارك وتعالى أن قرنه بأصول الدين، فجمع بينه وبين الوحدانية والصلاة والصوم والصدقة.

جاء فى حديث جامع وشامل أن رسول الله ﷺ قال:
**"إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بين إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم فقال: يا أخى لا تفعل فإنى أخاف إن سبقتنى بهن أن يخسف بى أو أعذب. قال: فجمع بنى إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم**

فقال: إن الله أوحى إلىَّ بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن:

أولهن : لا تشركوا بالله شيئًا ، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه دارًا فقال اعمل وارفع إلىّ، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئًا. وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا ، فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها ، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدى نفسى منكم، وجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه، وأمركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا فى أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد: لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله". (رواه الترمذى)

أرأيت إلى البراعة فى التشبيه، وإلى علو الطبقة فى التصوير، وكيف ضرب الحديث لكل ركن من هذه الأركان صورة مجسمة محددة المعالم، حتى وصل إلى الحصن الحصين والركن الركين، وهو ذكر الله؟

لقد جاء فى هذا الحديث وصف الذكر على أنه حصن.

وحصن من أى شىء؟ من الشيطان. وهل هناك حصن أقوى من هذا الذى يقى صاحبه ويحميه من كيد الشيطان: إنسيًا كان أو جنيًا؟

قال سبحانه فى شأن المؤمنين:

﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ .

وليس هناك شك فى أن العبد الذى يستحضر عظمة الله فى قلبه ويراقب هيمنة سلطانه الأعلى على نفسه لاشك أنه عبد محفوظ بالعناية، قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

فإياك يا أخى والغفلة عن ذكر الله، واحذر أن تفوتك ساعة تكون فيها غافلاً عن ذكره تبارك وتعالى.

واعلم بأن الذكر والشكر قرينان متلازمان.

جاء فى الحديث القدسى الجليل:

**"يا ابن آدم: إنك إذا ذكرتنى شكرتنى وإذا نسيتنى كفرتنى"**

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## فضل مجالس الذكر

رغب الإسلام فى الاجتماع على ذكر الله فى صورة تليق بجلال الذكر، ولا تخرج عن حدود ما رسم الشرع الحكيم فى قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ .

ومجالس الذكر تغشاها الرحمة، وتنزل بأصحابها السكينة، وتحف بها الملائكة المكرمون.

جاء فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال:

**"إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم**

بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم. وهو أعلم بهم - ما يقول عبادى؟ قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال فيقول: هل رأونى؟ قال فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال فيقول: كيف لو رأونى؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحًا قال فيقول: فما يسألونى؟

قال يقولون: يسألونك الجنة، قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال يقولون: يتعوذون من النار. قال يقولون وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، قال فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم". (رواه البخارى)

هذا وقد خرج النبى ﷺ ذات يوم على حلقة من أصحابه. فقال:
"ما أجلسكم؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم، ولكن أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة". (رواه مسلم)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم. فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر". (رواه أحمد)

لقد بلغ من مكانة الذكر فى قلوبهم أنهم كانوا يجعلونه بمثابة الإيمان، وينزلونه منزلة الإيمان.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحاب رسول ﷺ قال: تعالَ نؤمن بربنا ساعة.

فقالها ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله : ألا ترى إلى أبن رواحة؟ يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال ﷺ:

**"يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة".** (رواه أحمد).

وعنه أيضًا رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

**"ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفورًا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات"** (رواه أحمد).

وروى عن أنس رضى الله عنه أيضًا عن النبى ﷺ قال:

**"إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم، حفوا بهم، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء، إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد ﷺ يسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول الله تبارك وتعالى: غشوهم رحمتى، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم".** (رواه البزار)

وقد مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن رواحة، وهو يذكر أصحابه، فقال رسول الله ﷺ:

**"أما إنكم الملأ الذين أمرنى الله أن أصبر نفسى معكم، ثم تلا هذه الآية:**

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾.

**أما إن ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة، إن سبحوا الله تعالى سبحوه، وإن حمدوا الله حمدوه، وإن كبروا الله كبروه، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه، وهو أعلم بهم، فيقولون: يا ربنا عبادك سبحوك فسبحنا، وكبروك فكبرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربنا جل جلاله: يا ملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم".**

**أدب الذكر:**

أما وقد علمنا فضل مجالس الذكر والاجتماع عليه، فإنه ينبغى أن تعلم أمورًا خاصة بمراعاة الذكر:

المقصود من الذكر: تزكية الأنفس، وتطهير القلوب، وإيقاظ الضمائر، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾.

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة.

وذلك أن الذاكر حين ينفتح لربه جنانه، ويلهج بذكره لسانه، يمده الله بنوره،فيزداد إيمانًا إلى إيمانه، ويقينًا إلى يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.

وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه، دون أن تلفته عنه نوازع الهوى، ولا دوافع الشهوة..

ومن ثم عظم أمر الذكر، وجل خطره فى حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه الانسان بلسانه. فإن حركة اللسان قليلة الجدوى، ما لم تكن مواطئة القلب وموافقة له.

وقد أرشد الله تبارك وتعالى إلى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أنه يستحب أن يكون سرًا لا ترتفع به الأصوات.

وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار فقال:

**"يا أيها الناس: أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا. إن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته".**

كما تشير تلك الآية أيضًا إلى حالة الرغبة والرهبة التى يحسن بالإنسان أن يتصف بها عن الذكر.

كذلك من الأدب:

أن يكون الذاكر نظيف الثوب، طاهر البدن، طيب الرائحة، فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطًا، والأفضل أن يستقبل القبلة فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة.

### فضل من قال لا إله إلا الله مخلصًا

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا. إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر".

وعنه أنه قال:
"جددوا إيمانكم. قيل يا رسول الله: وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله". (رواه احمد)

وعن جابر رضى الله عنه آن النبى ﷺ قال:
"أفضل الذكر: لا إله إلا الله. وأفضل الدعاء الحمد لله".

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير - فى يوم مائة مرة - كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يوم ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك".

(رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه، وزاد مسلم والترمذى:
"ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر"

وعنه أيضًا أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:
"لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس". (رواه مسلم والترمذى)

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:
"لقيت أبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

رواه الترمذى والطبرانى، وزاد: "ولا حول ولا قوة إلا بالله".

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين، ممن قالوا: لا إله إلا الله مخلصين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

**الذكر المضاعف وجوامعه**

عن جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها: أن النبى ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد ذلك أن أضحى وهى جالسة. فقال:

**"ما زلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبى ﷺ: قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته"** (رواه مسلم وأبو داود)

ودخل رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى "أو حصى" تسبح الله به فقال:

**"أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك".** (رواه أصحاب السنن والحاكم).

**وعن ابن عمر رضى الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدًا من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها (ومعنى عضلت: أى اشتدت وعظمت) فصعدا إلى السماء فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها؟ قال الله - وهو أعلم بما قال عبده- ما قال عبدى؟ قالا يا رب أنه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فقال الله لهما: أكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها".** (رواه أحمد وابن ماجه).

**فضل الاستغفار:**

جاء رجل إلى الحسن البصرى رضى الله عنه، فشكى له قله المطر، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر فشكى له قلة المال. فقال له: استغفر الله، وجاء ثالث فشكى له قلة البنين، فقال له: استغفر الله، وشكى إليه رابع قلة الإنبات، فقال له: استغفر الله، قالوا: يا تقى الدين: كلما جاءك شاك قلت له: استغفر الله؟ قال لهم: نعم، أوما قرأتم قوله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾.

عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"يقول الله تعالى يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم: إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة".**

(رواه الترمذى).

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

**"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب"** (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم).

**أذكار الصباح والمساء**

أذكار الصباح يبدأ وقتها من الفجر إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء ما بين العصر والغروب :

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

**"من قال حين يصبح و حين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه"**

وروى أيضًا عن ابن مسعود قال: "كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قال:

**"أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، رب أسالك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر. رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر.**

وإذا أصبح قال ذلك أيضًا:

**أصبحنا وأصبح الملك لله. إلى آخره.**

وروى أبو داود عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ **قل. قلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفك من كل شىء".**

(قال الترمذى: حديث حسن صحيح)

وروى أيضًا عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يعلم أصحابه فيقول:

**"إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور".**

وإذا أمسى فليقل:

**اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير".**

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوسى عن النبى ﷺ قال:

**"سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة".**

وفى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه:

أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ مُرنى بشىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال:

**"قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا، أو نجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك".**

وفى الترمذى أيضًا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

**"ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره شىء".**

أى لا يضره شىء.

وفيه أيضًا عن ثوبان وغيره: أن رسول الله ﷺ قال:

**"من قال حين يمسى وإذا أصبح : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا: كان حقاً على الله أن يرضيه".**

وفى الترمذى أيضًا عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

**"من قال حين يصبح أو يمسى: اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وأنبياءك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك ﷺ".**

**أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أربعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله من النار".**

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال:

**"من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسى، فقد أدى شكر ليلته".**

وفى السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال:

لم يكن النبى ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح:

**"اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى. اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى. اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى، وعن يمينى وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى".**

قال وكيع: يعنى الخسف.

وروى عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبه حتى يمسى، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح:

**"اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أعلم أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما.**

**اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم".**

وفى بعض الروايات أنه قال:

**"انهضوا بنا، فقام، وقاموا معه، فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصيبه شىء".**

اللهم اجعلنا من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله تعالى المجلد الأول ويليه إن شاء الله المجلد الثانى مبدوءًا بالعنوان التالى: "أذكار النوم".

## أذكار النوم

روى البخارى عن حذيفة وأبى ذر رضى الله عنهما قالا : كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال:

**"باسمك اللهم أحيا وأموت" وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"**

وكان من هديه ﷺ أن يضع يده اليمنى تحت خده ويقول :

**"اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك - ثلاثًا". ويقول: "اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شىء، فالق الحَبِّ والنَّوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء،وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر"**

وكان يقول:

**"الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى ولا مؤوى".**

وكان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما:

**"قل هو الله أحد" و "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" ثم مسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده الشريف- يفعل ذلك ثلاث مرات".**

وأرشد ﷺ أن يقول المضطجع:

"باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"

وقال ﷺ لفاطمة:

"سبحى الله ثلاثًا وثلاثين، واحمديه ثلاثًا وثلاثين، وكبريه أربعًا وثلاثين".

وقال للبراء:

"إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك،لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، ثم قال: فإن مت، مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول".

## دعاء الاستيقاظ من النوم

أرشد رسول الله ﷺ المستيقظ من نومه أن يقول:

"الحمد لله الذى رد علىَّ روحى، وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره"

وكان إذا استيقظ قال:

"لا إله إلا أنت سبحانك،اللهم أستغفرك لذنبى،وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

وصح أنه ﷺ قال:

"من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته".

## الذكر عند الفزع والأرق والوحشة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال:

**"اذا فزع أحدكم فى النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره".**

قال: وكان ابن عمر يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها فى صك وعلقها فى عنقه.

وعن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه أصابه أرق، فقال رسول الله ﷺ:

**"ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط علىَّ أحد منهم، أو أن يبغى علىَّ، عَزَّ جارُك، وجَلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت".**

## المؤمنون الصادقون

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

ما أجمل هذه الصفات التى من أجلها استحق هؤلاء هذه الأحكام!

فما أصدق الله إذا قال! وما أعدله إذا حكم!

إنه - جل شأنه - وصف هؤلاء

أولا: بأنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم من عظمته وهيبته. ونزلت فيها السكينة والطمأنينة لعفوه ورحمته وبره وكرمه.

قال جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

ووصفهم ثانيًا: بقوله عز من قائل:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾.

ذلك لان الإيمان يزيد بالطاعة. وما من شك فى أن شجرة الإيمان طيبة الثمر، كريمة العطاء، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، كلما تعهدتها بالأعمال الصالحة ازدادت نماء وكرما.. إذ أنها بالأعمال الطيبة الصالحة: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

ووصفها مولانا تبارك وتعالى ثالثًا بقوله:

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

أى لا يسلمون أمورهم ويفوضون شئونهم- بعد الأخذ فى الأسباب- إلا على الواحد القهار، جل شأنه، فهم إذا سألوا لا يسألون إلا الله، وإذا استعانوا فلا يستعينوا إلا بالله، وإذا توكلوا فلا يتوكلون إلا على الله.

ووصفهم مولانا رابعًا بقوله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

أى: يؤدونها أداءًا مستقيمًا لا عوجا فيه ولا نقص، وإنما كمال وخشوع وجلال.

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهاوهى تصف صلاة رسول الله ﷺ:

**"كان يحدثنا ونحدثه، ويكلمنا ونكلمه،فإذا حضرت الصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه".**

وقد سئل "حاتم الأصم" رضى الله عنه: كيف أنت إذا دخلت الصلاة؟ قال:

إذا أردت الدخول فى الصلاة، توضأت، فأحسنت الوضوء، ثم إذا توجهت للوقوف بين يدى الله: جعلت كأن الكعبة أمامى، والموت ورائى، والجنة عن يمينى، والنار عن شمالى، والصراط المستقيم تحت قدمى، والله مطلع علىّ، ثم أُتم ركوعها وسجودها، فإذا سلمت، لا أدرى أقبلها الله أم ردها علىّ؟

يرحم الله هؤلاء الأبرار الأطهار، الأتقياء، الأصفياء الأخيار، إنهم عرفوا الله فأحبهم الله، فرضى عنهم، ورضوا عنه.

كانوا فى حالة السلم: كما وصفهم مولانا جل شأنه فى قوله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وكانوا فى حالة الحرب: كما قال الله تعالى فى شأنهم:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾.

ووصف الله تعالى المؤمنين الصادقين خامسًا بقوله:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

أى أنهم علموا أن نعم الله التى يسديها ويسوقها إلى عباده لا بدلها من تزكية تتطهر بها؛ فالمال رزق وفيه نفقة، وكذلك العلم والصحة والذكاء، كل منهم رزق وفيه نفقة،

فنفقة العلم: أن ينفع به الناس ويخرجهم بالهداية من الظلمات إلى النور.

ونفقة المال: أن يعين به الفقراء والمساكين ويغيث ذا الحاجة الملهوف، ويأخذ بيد الضعيف، ويواسى البؤساء.

ونفقة الصحة: أن يستعملها فى الخير فيشارك الضعفاء، ويزيل النكبات عن المنكوبين.

ونفقة الذكاء: أن يستغله في الخير والبناء، لا في الهدم والتخريب وظلم العباد.

هذه خمس صفات، استحقوا بمقتضاها أن يحكم لهم بأربعة أحكام:

١) أولئك هم المؤمنين حقا.

٢) لهم درجات عند ربهم.

٣) ومغفرة.

٤) ورزق كريم.

فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وجعلنا منهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**خفف الحمل فإن العقبة كئود**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾.

من هؤلاء الرجال الصفوة الذين اتقوا الله حق تقاته وأعدوا الزاد لليلة صبحها يوم القيامة: العارف بالله "أبو حازم" الذي جعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾.

فما قصته مع أمير المؤمنين سلمان بن عبد الملك؟

لنسمع إلى حقائق التاريخ تحدثنا بلسان اليقين ومنطق الحق المبين:

دخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة ودار الحديث التالى:

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال أبو حازم: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم اخرتكم، فأنتم تكرهون النقل من العمران إلى الخراب.

قال سليمان: فأخبرنى كيف القدوم على الله؟

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين. أما المحسن فيقدم على الله كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق لسيده يأتى مولاه خائفًا حزينًا.

قال سليمان: فأى الأعمال أفضل؟

قال أبو حازم: دعاء الملهوف لمن أحسن إليه.

قال سليمان: فأى الصدقة أوفى؟

قال أبوحازم: أن لا تعلم يسراه ما أنفقت يمينه.

قال سليمان: فأى القول أفضل؟

قال أبو حازم: كلمة حق عند من يُخاف.

قال سليمان: فأى الناس أعدل؟

قال أبو حازم: من عمل بطاعة الله و دلَّ الناس عليها.

قال سليمان: أى الناس أجهل؟

قال أبو حازم: من باع آخرته بدنياه.

قال سليمان: عظنى وأوجز!

قال أبو حازم: نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فبكى الأمير. فقال رجل من جلسائه: أبكيت أمير المؤمنين.

فقال أبو حازم: قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء لتبيننه للناس ولا تكتمونه ثم خرج، فبعث إليه سليمان بشىء من الحلى والجواهر فرده وقال: لا أرضاه لكم فكيف آخذه منكم؟

يرحمك الله يا أبا حازم، يا من وقفت موقف الأبطال أمام أبواب الدنيا ومتاعها، فكنت كما كان أمير المؤمنين على فى وصفه للدنيا:

قال معاوية بن أبى سفيان "لضرار الصدائى" وكان من أصحاب الإمام على:

يا ضرار: صف لى عليًا.

قال ضرار: اعفنى يا أمير المؤمنين.

قال معاوية: لتصفنه.

قال ضرار: أما إذ لابد من وصفه: فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطبق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد الله لقدر أيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، متمثلاً فى محرابه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، يقول يا دنيا: غُرِّى غيرى. إلىَّ تعرَّضتِ؟ أم إلىَّ تشوَّقتِ؟

هيهات هيهات! لقد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال:

يرحم الله أبا الحسن لقد كان كذلك، فكيف حُزنك عليه يا ضرار؟

قال ضرار: حُزن من ذُبح وحيدها في حجرها.

**حزب الله**

يرحم الله هؤلاء الناس. أولئك حزب الله الذين قال فيهم مولانا:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

نعم إنهم حزب الله الذين وصف الله شدة إيمانهم بقوله:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

وإذا كان هؤلاء هم حزب الله فإن من حاد عن طريقهم وتنكب عن جادتهم فقد دخل في حزب الشيطان لأن القسمة ثنائية، لا تحتمل ثالثًا، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم بين لنا بيانا تفصيليًا مواصفات حزب الله، فذكر أن أول صفاتهم أنهم قوم يحبهم الله ويحبونه.

الثانية: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

الثالثة: يجاهدون فى سبيل الله.

الرابعة: لا يخافون لومة لائم.

الخامسة: يتولون الله ورسوله والذين آمنوا.

السادسة: لا يوادون من حاد الله ورسوله مهما كان من صلات النسب ولو كانت أبوة أو بنوة أو أخوة أو عشيرة.

هذه أوصافهم والأسس التى مشوا عليها والمبادىء التى تمسكوا بها لا تفريط فى حرف منها.

من أجل ذلك كانوا جديرين بأن يحكم الله لهم بهذه الأحكام المنجية من خزى الدنيا وعذاب الآخرة:

أولاً: فإن حزب الله هم الغالبون.

ثانيًا: كتب فى قلوبهم الإيمان.

ثالثًا: أيدهم بروح منه.

رابعًا: يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

خامسًا: رضى الله عنهم ورضوا عنه.

سادسًا: شرفهم بأنْ جعلهم حزبه، وأضافهم لذاته إضافة تشريف وتكريم.

سابعًا: حكم لهم بالفلاح حيث قال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

من هؤلاء؟

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

أين تلقوا تعاليمهم؟ وفى أى الجامعات تخرج هؤلاء؟ وعلى يد من تتلمذوا؟ وعلى مناهج من درسوا وسلكوا؟

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

أين تربوا؟

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

ندعوا الله أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همنا وذهاب حزننا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## سياحة مباركة مع الصيام

يسرنا ويثلج صدورنا أن نقوم الآن بزيارة لجامعة العبادات الإسلامية نتفقد فيها أنواع العبادات والأحكام التى تتعلق بها كما أننا سنخص كلية الصيام بوقفة طويلة احتفاء بالشهر العظيم الذى أنزل الله فيه خير كتاب هو القرآن فى خير بلد هى مكة فى خير جبل هو حراء فى خير شهر هو رمضان مع خير ملك هو جبريل من أعظم مكان هو اللوح المحفوظ لخير أمة هى أمة الإسلام بأفضل أحكام "هدى للمتقين" بأعدل شريعة هى شريعة الحق فى خير ليلة هى ليلة القدر على خير نبى هو محمد ﷺ وجامعة الإسلام مكتوب على بابها قوله جل شانه،

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾.

وأراها مكونة من خمس كليات أولها كلية التوحيد وقد كتب على بابها قوله جل شأنه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

سبحانك اللهم أنت الواحد — كل الوجود على وجودك شاهد
يا حى يا قيوم أنت المرتجى — وإلى علاك عنا الجبين الساجد

وثانيتها كلية الصلاة وعلى بابها كتب

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾.

وثالثتها كلية الزكاة وعلى بابها كتب:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

ورابعتها كلية الصيام وعلى بابها كتب:
﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

وخامستها كلية الحج وعلى بابها كتب
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾.

إننا اليوم على موعد بلقاء مع زيارة لكلية الصيام فبعد أيام قلائل يطالعنا أعظم الشهور يطالعنا هلال مبارك، لذا يجب على الأمة الإسلامية أن تستقبله بما يليق به من جلال مهيب وجمال وكمال فرمضان عندما عظمه ربه نسبه إلى إنزال أعظم الكتب.

فلم يقل شهر رمضان الذى يُحتفل فيه بذكرى أى عظيم من عظماء الأرض أو بمولد ملك أو فاتح أو قيصر أو كسرى أو امبراطور إنما قال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ فليس رمضان شهر لهو أو طرب أو احتساء الكئوس المترعة واستمتاع بالمأكل الهنىء.

إنما رمضان قرآن وصوم ونصر وفتح وبر وقدرتلك مواقفه وهذا سر عظمته.

جرت تقاليد الدول عندما يزورها حاكم من دولة أخرى تقام له المراسيم على مختلف المستويات رسمية وشعبية تضاء الثريات وتنصب السرادقات وتزدحم الطرقات بأقواس النصر فماذا أعددنا لضيف الرحمن جل جلاله؟

ليس رمضان فى حاجة إلى تلك المظاهر إنما رمضان مدرسة لها احترامها وجلالها لا يليق به ما عليه المسلمون من لعب ولهو ومجاهرة

بالمعصية لله فى وضح النهار وإجماع العلماء منعقدعلى من أفطر يومًا واحدًا فى رمضان بغير عذر كان شرًا عند الله من الزانى وشارب الخمر فما بالنا فى نهار رمضان لا نخشى الواحد الديان؟

فمحال الطعام مزدحمة بالآكلين ومحال الشراب فى أكبر الميادين مزدحمة بالشاربين والمصالح والمكاتب تحتسى فيها أقداح الشراب الساخن والبارد أضف إلى ذلك ما يسمع من الألفاظ من سب وشتائم.

كل هذا يجرى فى نهار رمضان.

والإمام ابن حزم رضى الله عنه يقول:
ذنبان لم أجد أعظم منهما بعد الشرك بالله: عبد أخَّر الصلاة حتى خرج وقتها وعبد أفطر يومًا فى رمضان بغير رخصة رخصها الله له.

ولا أحب أن أفيض فى تلك المآسى فإنها كثيرة ونحن على أبواب شهر كان سيد المرسلين يحتفى ويبشر المؤمنين بقدومه.

اسمع معى إلى هذا الحشد المبارك والكواكب الدرية من أحاديث خير البرية، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
**"قال الله عز وجل: كل عمل إبن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم. إنى صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه".**

(رواه البخاري واللفظ لمسلم)، وفى رواية للبخارى:
**"يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها".**

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
**"الأعمال عند الله عز وجل سبعة: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب**

**عامله إلا الله عز وجل؛ فأما الموجبان: فمن لقى الله يعبده مخلصًا له لا يشرك به شيئًا وجبت له الجنة، ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئة جزى بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جوزى مثلها، ومن عمل حسنة جوزى عشرًا، ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة، والصيام لله عز وجل لايعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل".**

(رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى)

هنيئًا لك أيها الصائم بتلك البشرى التى قال فيها المعصوم ﷺ:

**"إن فى الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد".**

(رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى)

واعلم أيها المسلم أن الصيام نداء فطرى من داخل جسمك يصيح بك: صم فإن الصيام صحة.

يقول ﷺ: **"أغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا".**

(رواه الطبرانى فى الأوسط ورواته ثقات)

وقد ثبت أن الصيام يفيد فى حالات كثيرة فهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى؛ فهو أهم علاج للوقاية من أمراض الاضطرابات فى الأمعاء المصحوبة بتخمير فى المواد الزلالية والنشوية وهنا ينجح الصيام وخصوصًا عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة، كما فى صيام رمضان، وممكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر وهذه الطريقة هى أنجح طريقة لتطهير الأمعاء، كما يستعمل الصيام فى علاج زيادة الضغط الذاتى، ويستعمل فى علاج البول السكرى والتهاب الكلى الحاد والمزمن، وفى علاج أمراض القلب المصحوبة بتورم وفى علاج التهاب المفاصل المزمن خصوصًا إذا كانت مصحوبة بسمنة.

آسأل الله ان يجعل هذا الضيف الكريم شاهدًا لنا لا علينا.

## الصيام بين الإيمان والتقوى

ما أعظم القرآن وما أبلغ لفظه وما أجلّ معانيه، إنه معجزة الله فى الكلمة الناطقة كما أن الكون معجزته فى الآيات المنظورة، فإذا كان الكون قرآنًا صامتًا فإن القرآن كون ناطق، وإذا كان ذلك كذلك فإن المؤمن قرآن يمشى بين الناس.

نعم ما أعجب هذا الكتاب الكريم، أنه لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم، سألت نفسى وأنا أطالع مشهد الصيام فى سورة البقرة فقلت: ما السر فى وضع الصيام بين الإيمان والتقوى فى قوله تبارك اسمه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وعلمت بعد إعمال فكر وروية أننا بين ثلاث مسائل: إيمان وصيام وتقوى فما الذى سلك الثلاثة فى عقد واحد؟

وما الذى جمع بينها وألفاظ القرآن فى وزنها ووضعها دقيقة بل هى أشد دقة من ميزان الذهب.

﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

الإيمان تصديق قلبى بكل ما جاء به رسول الله ﷺ مع الرضا والتسليم..

ما محله؟ محله القلب.

قال تعالى:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾.

﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾.

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

قال ﷺ:

**"ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل".**

إذن فالإيمان شجرة طيبة أصلها ثابت فى القلب وفرعها باسق فى جو السماء.

هذا هو الإيمان: تصديق محله القلب ولا يعلم ما فى القلب إلا الله لأن دولة القلوب مفاتيحها بيد الله تعالى.

**عبادة سرية:**

ولننتقل بعد ذلك إلى المسألة الثانية وهى الصيام

فما الصيام؟

إنه الإمسال عن المفطرات.

وما الإمساك عنها إلا عبادة سرية لا يطلع عليها إلا الله، فالإنسان يستطيع أن يأكل ملء بطنه ويشرب ما شاء بعيدًا عن عيون الرقباء، فإذا رأى الناس فى نهار رمضان شكا إليهم ما يعانيه من شدة الظمأ وما يكابده من مرارة الجوع قائلاً: ما أطول النهار وما أشد الحرارة، ناسيًا أو متناسيًا أن الصيام عبادة لا تراها أعين العباد إنما الذى يطلع عليها هو من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ومن ثم فإن الله شرَّف هذه العبادة فنسبها إليه سبحانه فى قوله فى الحديث القدسى الجليل:

**"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به".**

فيا هذا:

| | |
|---|---|
| الله يدرى كل ما تضمر | يعلم ما تخفى وما تظهر |
| وإن خدعت الناس لم تستطع | خداع من يطوى ومن ينشر |

ننتقل بعد ذلك إلى المسألة الثالثة وهى

التقوى:

فما هى؟ وما محلها؟

هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

أما محلها: فقد أجاب الرسول ﷺ عن هذا السؤال قائلاً وهو يشير إلى صدره الشريف:

**"التقوى ها هنا ثلاث مرات".**

الإيمان والتقوى: بنظرة خاطفة إلى ما قدمناه: ندرك أن المسائل الثلاث قد جمعت بينها السرية.

الإيمان قلبى، والصيام سرى، والتقوى محلها الصدر.

فجاء الصيام بين الإيمان والتقوى ليعانق كليهما عناق الأخوة والعظمة هاتفًا:

﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾.

ومن هنا أيضًا يتجلى الصيام أستاذًا فى أدق الأبواب للأخلاق؛ وهو تربية الضمير - أشد ما تحتاج إليه الأمم.

إذ هو الرقيب الداخلى فى النفس، ومن هنا تتجلى عظمة الإيمان بالغيب فى قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾.

فإن لم يوافق ظاهر المرء باطنه فقد هوى من باذخ العلياء إلى حضيض الغبراء، ووقع فى الدرك الأسفل مع المنافقين الذين ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾.

نعم الصيام: صيام المؤمن التقى، أنه يقوى فيه الرقابة لله تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

ولقد بلغ الضمير مداه عندما كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يمشى إذ وجد راعيًا يرعى غنمًا.

قال له عمر: ما ضر لو أعطيتنا غنمة نتغذى بها؟

فقال له: إنها ليست ملكى وإنما هى ملك سيدى.

فوضعه عمر أمام الاختبار القاسى الذى كثيرًا ما قطع أعناق الرجال.

اختبار المال، عندما نثر عمر أمامه بعض الدراهم والدنانير ـ وللدراهم بريقها وللدنانير رنينها ـ فماذا قال له الغلام عندما قال له عمر أشتري منك هذه الغنمة بهذا المال؟

سرعان ما وثب الإيمان كالأسد الذى ديس عرينه وقال:
فماذا أقول لسيدى لو سألنى عنها؟

قال له عمر:
قل له أكلها الذئب، فكثيرًا ما يأكل الذئب الغنم..

وهنا انتفض الغلام وقد تحرك الإيمان فى قلبه، وإذا تحرك الإيمان كاد يجعل من الملح الأجاج عذبًا فراتًا سلسبيلا.

قال يا هذا، وإذا كذبت على سيدى الأصغر فآين اللّه؟ آين اللّه؟

نعم . وما أن سمع عمر هذه الكلمة حتى انتفض انتفاضة العصفور إذا بلله ماء المطر، إنها كلمة لو آنزلت على الجبال لخرّت منها هدًا، كيف أكذب على اللّه؟

ويرخى الستار على هذا المشهد. ولكن آيترك عمر الموقف هكذا صامتًا؟

لا ثم لا. لقد ذهب إلى سيد الغلام فاشترى منه غنمه وعبده، وآراد أن يسلمه جائزة الدولة التقديرية.

قال للغلام: أنت حر وقد وهبتك هذه الغنم كلها ثم قال عمر كلمته المشهورة:

أنقذته كلمته تلك من عبودية الدنيا وآرجو أن تنقذه من عذاب النار يوم القيامة.

نعم. إنها جائزة الدولة التقديرية يكافأ بها الأمناء الأوفياء الأتقياء الأنقياء، الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا.

تربية الضمير: ألست معى يا أخى أن الضمير إذا تربى فى أحضان الإيمان والصيام والتقوى بنى أمة تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء.

إنها البحر الذى ينساب فى أرجاء الدنيا ليغسل وجه الأرض من أرجاسها وأنجاسها وأدناسها.

كان يوسف بن يعقوب عليهما السلام على خزائن مصر، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، فقيل له: آيها الصدِّيق، لِمَ تُكثِر من الصوم وقد وضع اللّه خزائن الأرض تحت يديك؟

فماذا قال يوسف عليه السلام؟

قال كلمة وأصبحت مثلاً وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها.

قال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: إنى أخشى أن أشبع فأنسى الجائع.

ألست معى أن الصيام أستاذ يسوس الأمم سياسة حكيمة رشيدة.

يجيع الراعى ليشعره بحال الرعية؟

عن سليمان الفارسى رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم شعبان فقال:

**"أيها الناس قد أظلّكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا،من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى فريضة فيما سواه، ومن أدَّى فريضة كان كمن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهر يزاد فيه من رزق المؤمن. من فطّر فيه صائمًا كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه.**

**قال: قلنا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يُفطّر به الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب من يُفطّر صائمًا على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة، ومن أشبع صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوض شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وكان له مثل أجر غيره من غير أن ينقص من أجره شيء.**

**وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار. فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غنى لكما عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار".**

أدعو الله أن يتقبل منا صيامنا، ويوفقنا إلى قيام ليلنا، وأن ينعم علينا ببركات هذا الشهر العظيم، وأن يعيده علينا بالخير واليُمن وجمع شمل المسلمين، إنه سميع مجيب الدعوات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## شفاء لما فى الصدور

وهذه أذكار فيها شفاء لما يعانيه المرء من الكرب والغم والحزن والهم.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

فيا من يجيب المضطر إذا دعاه.

ويكشف السوء عمن ناداه.

نسألك علما نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاءًا من كل داء.

جاء فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:

**"لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم".**

وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمر قال:

**"يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث"**

وفيه أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا أهمَّه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: **"سبحان الله العظيم"**

وإذا اجتهد فى الدعاء قال: **"يا حى يا قيوم"**.

وفى سنن أبى داود عن أبى بكره أن رسول الله ﷺ قال:

**"دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت".**

وفى السنن أيضًا عن أسماء بنت عميس قالت: قال لى رسول الله ﷺ:

**"ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب - أوفى الكرب - الله الله ربى، لا أشرك به شيئا".**

وفى رواية: أنها تقال سبع مرات.

وفى الترمذى عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ:

**"دعوة ذى النون إذا دعا وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. لم يدعُ بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استُجيب له".**

وفى رواية له:

**"إنى لأعلم كلمة لا يقرؤها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخى يونس عليه السلام".**

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ:

**"ما أصاب عبدًا هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضى فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجًا".**

أما عن لقاء العدو وما يخافه، فقد جاء فى سنن أبى داود والنسائى عن أبي موسى:

أن النبى ﷺ إذا خاف قومًا قال:
**"اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك سن شرورهم".**

ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو:
**"اللهم أنت عضدي .. وأنت ناصري .. وبك أقاتل".**

وعنه ﷺ أنه كان فى غزوة فقال:
**"يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك أستعين".**

قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:
**"إذا خفتَ سلطانًا أو غيره فقل لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك".**

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال:
**"حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها ابراهيم ﷺ حين أُلقىَ فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قال الناس: "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم".**

أما عن الذكر الذى يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرها فقد جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال:
"كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول:
**إن أباكما ابراهيم كان يُعوِّذ بها اسماعيل وإسحاق، أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة".**

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب فجعل يتفل عليه ويقرأ "الحمد لله رب العالمين" فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به من ألم.

وفى الصحيحين أيضًا أن النبى ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول:

**"اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما".**

أما عند الدخول بالزوجة فقد جاء فى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال:

**"لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا".**

أما عن فضل الفاتحة: فقد قال النبى ﷺ لأبى سعيد بن المعلى ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قال بلى يا رسول الله.

**قال: "الحمد لله رب العالمين وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته".**

فاللهم إنا نسألك لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وعملاً متقبلاً وسعادة فى الدنيا والآخرة.

**سيدة آي القرآن الكريم**

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

هذه أية الكرسى ولها شأن عظيم وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية فى كتاب الله.

روى الإمام أحمد بسنده عن أُبَيّ بن كعب أن النبي ﷺ سأله: "أيُّ آية فى كتاب الله أعظم؟ **قال: الله ورسوله أعلم.. فرددها مرارًا ثم قال: آية الكرسى. قال: ليهنك العلم أبا المنذر، والذى نفسى بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش".**

وعن أُبَيّ أيضًا فى فضل آية الكرسى قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا ميسرة عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عبيدة بن أبى لبابه عن عبد الله بن أبى بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه غر قال:

فكان أُبى يتعاهده فوجده ينقص، قال: فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبيه الغلام. قال: فسلمت عليه، فرد السلام. قال: فقلت ما أنت؟ جنىّ أم إنسىّ؟ قال: جنىّ. قال: قلت ناولنى يدك. قال: فناولنى يده، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشدمنى. قلت:

فما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغنى أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك .

قال: فقال له أبى فما الذى يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية، آية الكرسى.

ثم غدا إلى النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ: "صدق الخبيث".

وروى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سأل رجلاً من صحابته فقال: **"أي فلان هل تزوجت؟**

**قال: لا وليس عندى ما أتزوج به.**

**قال: أوليس معك: "قل هو الله أحد"؟**

**قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "قل يا أيها الكافرون"؟. قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "إذا زلزلت"؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: أليس معك "إذا جاء نصر الله"؟ قال: بلى. قال: ربع**

القرآن. قال: أليس معك آية الكرسى "الله لا إله إلا هو"؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن".

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر الغفار رضى الله عنه. قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست. فقال: "يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل.

قال: فقمت فصليت ثم جلست. فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن.

قال: قلت يا رسول الله أو للإنس شياطين؟

قال: نعم. قلت: يا رسول الله: الصلاة؟ قال: خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر. قال: قلت يا رسول الله: فالصوم؟ قال: فرض مجزى وعندالله مزيد. قال: قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: أضعاف مضاعفة. قال: قلت يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال: جهد من مقل أو سر إلى فقير. قال: قلت يا رسول الله: اى الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قال: قلت يا رسول الله: ونبى كان؟ قال: نعم نبى مكلم. قال: قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما عفيرًا. وقال مرة: وخمسة عشر. قال: قلت يا رسول الله: أيُّ ما أُنزل عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي "الله لا إله إلا هو الحي القيوم". (رواه النسائي).

وعن أبى أيوب الأنصارى أنه كان فى سهوة له وكانت الغول تجىء وتأخذ فشكاها إلى النبى ﷺ:

"ما فعل أسيرك؟ قال: أخذتها، فقالت إنى لا أعود. فأرسلتها. فقال: إنها عائدة. فأخذتها مرتين أو ثلاثًا. كل ذلك تقول: لا أعود. وأجىء إلى النبى ﷺ فيقول: ما فعل أسيرك؟ فأقول: أخذتها، فتقول لا أعود. فيقول: إنها عائدة. فأخذتها. فقالت: أرسلنى وأعلمك شيئًا تقوله فلا يقربك شىء، آية الكرسى. فأتى النبى ﷺ فأخبره. فقال: صدقت وهى كذوب". (رواه الترمذى فى فضائل القرآن).

وقد ذكر البخارى هذه القصة عن أبى هريرة فقال فى كتاب فضائل القرآن وفى كتاب الوكالة وفى صفة إبليس عن صحيحه. قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف بن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: "وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعنى فإنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة. قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته. فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعنى فإنى محتاج وعلى عيال، لا أعود. فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله، قال: وما هى؟ قلت: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح (وكانوا أحرص شىء على الخير)، فقال ﷺ: أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم مَن تخاطب مِن ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذاك شيطان".

كذا روى البخارى معلقًا بصفة الجزم وقد رواه النسائي فى اليوم والليلة عن إبراهيم ابن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره.

وقد رُوي من وجه آخر عن أبى هريرة بسياق آخر قريب من هذا.

فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه حدثنا أحمد بن زهير بن حرب أنبأنا مسلم بن إبراهيم أنبأنا اسماعيل بن مسلم العبدى أنبأنا المتوكل الناجى أن: أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يومًا ففتح الباب

فوجد التمر قد آخذ منه ملء كف، ودخل يومًا آخر فإذا قد أخذ منه ملء كف، ثم دخل يومًا آخر ثالثًا فإذا قد أخذ منه مثل ذلك، فشكا ذلك أبو هريرة إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ "تحب أن تأخذ صاحبك هذا؟" قال: نعم قال: "فإذا فتحت الباب فقل: (سبحان من سخرك محمد) فذهب ففتح الباب. فقال: (سبحان من سخرك محمد) فإذا هو قائم بين يديه. قال: يا عدو الله أنت صاحب هذا؟ قال: نعم دعنى فإنى لا أعود ما كنت آخذًا إلا لأهل بيت من الجن فقراء، فخلى عنه، ثم عاد الثانية، ثم عاد الثالثة. فقلت: أليس قد عاهدتنى ألا تعود. لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبى ﷺ. قال: لا تفعل فإنك إن تدعنى علمتك كلمات إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى. قال له: لتفعلنّ؟. قال: نعم. قال: ما هن؟ قال: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" قرأ آية الكرسى حتى ختمها، فتركه فذهب فلم يعد، فذكر ذلك أبو هريرة للنبى ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: أما علمت أن ذلك كذلك".

وقد رواه النسائى عن احمد بن محمد بن عبد الله بن شعيب بن حرب عن اسماعيل بن مسلم عن أبى المتوكل عن أبى هريرة قال أبو عبيد حدثنا معاوية عن أبى عاصم الثقفى عن الشعبى عن عبد الله بن سعود قال:

"خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فقال: هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان. فصارعه، فصرعه. فقال: إنى أراك ضئيلا شخيتا كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال: إنى بينهم لضليع فعاودنى فصارعه فصرعه الإنسى. فقال: تقرأ أية الكرسى فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خيخ كخيخ الحمار. فقيل لابن مسعود أهو عمر. فقال: من عسى أن يكون إلا عمر.

قال أبو عبيد :

الضئيل: النحيف الجسم.

والخيخ: بالخاء المعجمة ويقال بالحاء والمهملة : الضراط.

فاللهم نسالك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والعصمة من كل ذنب، كما نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءًا من كل داء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**نور على نور**

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

والمقصود بالنور هنا كتاب الله تعالى فقد وصفه رب العزة بأنه روح ونور.

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾.

نعم. إنه روح يحيى الله به الموات، ونور يبدد غياهب الظلمات .

نور أضاء فبدد الظلماء     والكون أصبح باسمًا وضَّاء

ومن آيات هذا النور آية الكرسى التى لو أوتى الإنسان سحر البيان الذى تخر له العمالقة ومنح ريشة بديعة الأداء وأعطى قدرة التصوير فى التعبير ما أستطاع أن يحصى فضائل تلك الآية .

ففى هذا المقام مراتب لا تحصى ومراق لا تستقصى.

هى البحر فى أحشائه الدر كامن ومن وقف على ساحل هذا البحر سلك مدارج الأنوار وحقائق الأسرار ليعيش فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

من تلك الفضائل: ما رواه الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

**"سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ آية الكرسى فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه".**

وعن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب أنه خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرنى بأعظم آية فى القرآن؟

فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت. سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**"أعظم آية فى القرآن الله لا إله إلا هو الحى القيوم"**

ومن أفضال تلك الآية أنها اشتملت على اسم الله الأعظم.

روى الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: **"سمعت رسول الله ﷺ يقول فى هاتين الآيتين: (الله لا إله إلا الله هو الحي القيوم) و(الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) إن فيهما اسم الله الأعظم".**

وعن أبى أمامة رضى الله عنه يرفعه قال:

**"اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب فى ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه".**

وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق أما فى البقرة "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" وفى آل عمران "الم الله لا إله إلاهو الحى القيوم" وفى طه "وعنت الوجوه للحى القيوم".

ومن فضائل تلك الآية الكريمة لمن قرأها بعد الصلاة جاء عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:

**"من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسى لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت".** (وهكذا رواه النسائى)

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال:

**"أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أن اقرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة فإنه من يقرؤها فى دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين وأعمال الصديقين.. ولا يواظب على ذلك إلا نبى أو صديق أو عبد امتحنت قلبه للإيمان أو أريه قتله فى سبيل الله".**

ومن فضائل هذه الآية أنها تحفظ من قرأها فى أول النهار وأول الليل. روى أبو عيسى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

**"من قرأ حم المؤمن إلى: "إليه المصير" وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح".**

والمراد بحم المؤمن قوله تعالى:

﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقد اشتملت آية الكرسى على عشر جمل مستقلة، فقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلاهية لجميع الخلائق. ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدًا، القيِّم لغيره، وكان

عمر يقرأ: "القيام" فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾.

وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شىء لا يغيب عنه شىء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم.

فقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ ﴾ أى لا تغلبه سِنَة وهى الوسن والنعاس، ولهذا قال: "ولا نوم" لأنه أقوى من السنة.وفى الصحيح عن أبى موسى قال: قال فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال:

**"إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرمت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"**

وقوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

كقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾.

وكقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على ان يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة.

**حصنوا أنفسكم بكتاب الله**

ما أسعد الإنسان إذا أغتنم خمسًا قبل خمس؛ شبابه قبل هِرَمه، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل موته.

| | |
|---|---|
| دنياك ساعات سراع الزوالِ | وإنما العقبى خلود المآل |
| فهل تبيع الخلد يا عاقلاً | وتشترى دنيا المنى والضلال |

وما أعقل المرء إذا علم فى ساحة الحساب سيسأل علام الغيوب عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا صنع فيه؟

ولقد عجبت لغافل وليس بمغفول عنه، ولمؤمل فى الدنيا، والموت يطلبه، ولضاحك ملء فيه لا يدرى الله راضٍ عنه أم ساخط عليه، وبكيت لفراق الأحبة محمد وصحبه ولهول المطلّع عند سكرات الموت، وللوقوف بين يدى الله لا أدرى أينطلق بى إلى الجنة أم إلى النار وما أظلم الإنسان إذا ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه وما أشقاه إذا طغت كثافة المادة فيه

على لطافة الروح فتمرغ فى أوحال الأرض وتقلب فى الحمأ المسنون ومن ثم فإنه يكون قد أخلد إلى الأرض واتبع هواه وما أدراك ما الهوى؟

إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر ومن عرف الهوى فقد هوى.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾.

وهل شقيت البشرية وضل سعيها فى الحياة الدنيا إلا لما انغمست فى ظلمات المادة ونسيت مطالب الروح.

قال أحد الزعماء الأمريكان: إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعانى أزمة مادية إنما تعانى أزمة روحانية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء فى السلع لكننا فقراء فى الروح نصل فى قرب عظيم إلى القمر ونسقط فى خلاف حاد على الأرض.

نعم. ليست السعادة فى سكنى القصور وفتنة الغيد الأماليد والانتشار باحتساء الكئوس المترعة ولكن السعادة فى رضا الله تعالى عند العبد ورضا العبد عما قضى الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

إن السعادة الحقيقية تتركز فى ثقة المؤمن بربه واطمئنان قلبه إلى قضائه وقدره، قيل للحسن البصرى رضى الله عنه: ماسر سعادتك؟

قال: علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى، وعلمت أن عملى لا يقوم به سواى فاشتغلت به، وعلمت أن الله مُطَّلع عليَّ فاستحييت أن يرانى على معصيته، وعلمت أن الموت ينتظرنى فأعددت الزاد للقاء الله.

وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول لأبى ذر:

**"جدد السفينة فإن البحر عميق وأكثر من الزاد فإن السفر طويل وأخلص العمل فإن الناقد بصير وخفف الحمل فإن العقبة كئود".**

تزود من حياتك للمعاد وقم لله واجمع خير زاد

ولا تركن إلى الدنيا كثيرًا فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

لقد ركز الرسول ﷺ معالم السعادة فى حديثه الجامع:

**"ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"**

وهل يكون هناك رضا إلا أن يكون هناك تقوى؟

لذا قدم الرسول ﷺ الأمر بالتقوى على الرضا، فقال:

**"اتق المحارم تكن أعبد الناس"**

ثم قال: **"وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب لأخيك كما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".**

إن مملكة الرضا لا تزحزحها نوائب الدهر، ولا تؤثر فيها رياحه الهوجاء ولا عواصفه القاصفة أو زوابعه العاصفة، لأنها مملكة شيدها الله صنعًا على عينيه، وهل هناك من يَقوَى على تحطيم ما شيده مالك الملك وملك الملوك؟.

قالوا للحسن البصرى رضى الله عنه: يا تقى الدين: أى الأيام عندك عيد؟

فقال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد.

هذا هو السياج الحصين والحصن المكين الذى يحيط بمملكة الرضا.

إنها الطاعة لله ورسوله ﷺ.

| | |
|---|---|
| إذا كنت فى نعمة فارعها | فإن المعاصى تزيل النِعَم |
| وداوم عليها بشكر الإله | فإن الإله سريع النِقَم |

لقد كانوا يبيتون على الطوى يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء، وألسنتهم تلهج بالثناء على خالق الأرض والسماء يقولون:

نحن فى سعادة لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف.

كانت أنواع البلاء تنزل بهم فيذكر أحدهم ربه قائلاً:

**"الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من عباده وصلى الله على سيدنا محمد".**

فيقال له: مما عافاك الله وقد ابتلاك بكثير من ألوان البلاء؟

فيقول: وهب لى قلبًا يشكره ولسانًا يذكره.

لقد كان الحسن رضى الله عنه أسمر الوجه فبيض الله وجهه لأنه، كان قوَّامًا بالليل يصفُّ قدميه فى الحضرة الإلهية، مرتلاً كتاب ربه خاشعًا باكيًا خاضعًا عابدًا قانتًا.

فقيل له: ياتقىَّ الدين بأىّ شىء أكرمك الله فبيض وجهك؟

فقال: خلونا به ليلاً والناس نيام فكسانا من جماله.

وكان رضى الله عنه يقول:

من أراد ان يكلم الله فليدخل فى الصلاة، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن.

| | |
|---|---|
| إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى | تقلب عريانًا ولوكان كاسيًا |
| وخير لباس المرء طاعة ربه | ولا خير فيمن كان لله عاصيًا |

إن مملكة الرضا إذا قامت فى نفس المؤمن آنزلت فى قلبه السكينة فصيرته أشد ثباتًا من الجبال الشُمّ والرواسى الشامخات، فأصبح من القوة الإيمانية بحيث تزول الجبال ولا يزول.

قال تعالى:

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

فاللهم أنزل سكينة علينا وارض عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

## أنت تسأل والشيخ يجيب

**السؤال الأول:**

جاءتنى رسالة يسأل فيها أصحابها عن معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

**إجابة:**

من روائع البيان للصابوني يقول:

التحليل اللفظى لهذه الآيات الكريمة:

ثقفتموهم: الثقف: الأخذ والإدراك.

والظفر يقال: ثقفه واحدة أو ظفربه.

قال اللسان: ثقف الرجل: ظفربه.

قال تعالى:

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾.

ورجل ثقيف إذا كان محكمًا لما يتناوله من الأمور.

قال الراغب: الثقف: الحذق فى إدراك الشىء وفعله ومنه استعير المثاقفة.

ويقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق فى النظر.

وفى الكشاف: الثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه:

قال الشاعر:

فإمـــا تثقفـــونى فـــاقتلونى      فمـــن أثقـــف فلـــيس إلى خلـــود

والمعنى:

اقتلوا الكفار حيث وجدتموهم وظفرتم بهم فى حِلٍّ أو حرم.

الفتنة: الابتلاء والاختيار وأصلها من الفتن وهو إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته.

قال الأزهرى: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار مأخوذ من قولك:

فتنتَ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتُميِّز الردئ من الجيد.

والمعنى: إيذاء المؤمنين بالتعذيب والتشريد بقصد أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارًا أعظم جرمًا عند الله من القتل.

وقال ابن عباس:

الشرك أعظم من القتل فى الحرم.

والحرمات قصاص: الحرمات جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة، والحرمة كل ما منع الشرع من انتهاكه وإنما جمعت لأنه أراد حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الإحرام.

والقصاص: المساواة والمماثلة.

والمعنى:
إذا انتهكوا حرمة الشهر فقاتلوكم فيه فقاتِلوهم أنتم أيضًا ولا تتحرجوا.

قال الزجَّاج:
أعلم الله المسلمين أنه ليس لهم أن ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء بل على سبيل القصاص.

التهلكة: التهلكة بضم اللام بمعنى الهلاك.

يقال: هلك يهلك هلاكًا وتهلكة.

قال أبو عبيدة: التهلكة والهلاك والهلك واحد مصدر هلك.

وفى اللسان: التهلكة: الهلاك.

وقيل: كل شىء تصير عاقبته إلى الهلاك.

المحسنين: جمع محسن وهو الذى ينفع غيره بنفع حسن أو يحسن عمله بفعل ما يرضى الله تعالى.

المعنى الإجمالى:
يقول الله جل ثناؤه ما معناه: قاتلوا أيها المؤمنون فى سبيل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار ولا تعتدوا بقتل الأطفال والنساء والشيوخ ممن لا قدرة لهم على القتال، فإن الله يكره البَغىَ أيًا كان مصدره.

واقتلوهم أينما أدركتموهم وصادفتموهم، ولا يصدنَّكم عنهم أنَّكم فى أرض الحرم، وأخرِجوهم من المكان الذى أخرَجوكم منه، وهو مكة بلدكم الأصلى الذى أخرجوكم منه ظلمًا وعدوانًا، والفتنة للمؤمنين وإيذاؤهم بالتعذيب والتشريد والإخراج من الوطن والمصادرة للمال أشد قبحًا من القتل، ولا تقاتلوهم أيها المؤمنون عند المسجد الحرام حتى يبدءوكم بالقتال فإن قاتلوكم فاقتلوهم ولا تستسلموا لهم، فالبادىء هو الظالم، والمدافع غير آثم، كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا عن عدوانهم فإن الله غفور رحيم.

ثم أكد تعالى الأمر بقتال الكفار وبيَّن الغاية منه وهى ألا يوجد شىء من الفتنة فى الدين فقال: قاتلوهم حتى تظهروا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم، ويكون الدين خالصًا لله فلا يعبدوا دونه أحدًا، وتكون العبادة و الطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان، فإذا انتهوا عن قتالكم ودخلوا فى دينكم فاتركوا قتالهم لأنه لا ينبغى أن يعتدى إلا على الظالمين.

ثم أخبر تعالى أن المشركين بإصرارهم على الفتنة و إيذائهم للمؤمنين فعلوا ما هو أشد قبحًا من القتل فقال مخاطبًا المؤمنين.

الشهر الحرام يقابل بالشهر الحرام وهتك حرمته تقابل بهتك حرمته فلا تبالوا أيها المؤمنون بالقتال فيه إذا اضطررتم للدفاع عن دينكم وإعلاء كلمة الله فمن تعرض لقتالكم واعتدى عليكم فقاتلوه وردوا عدوانه بلا ضعف ولا تقصير بمثل ما يعتدى عليكم واتقوا الله فلا تبغوا وتظلموا فى القصاص إن الله يحب المتقين

ثم أمر تعالى بالجهاد بالمال بعد الأمر بالجهاد بالأنفس فقال:

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

أى أبذلوا المال فى سبيل الله لنصرة دينه والدفاع عن الحق ولا تبخلوا فتشحوا بالمال فإن ذلك يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون وأحسنوا فإن الله يحب المحسنين.

سبب النزول:

أولاً: رُوِىَ أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت ونحر هديه بالحديبية وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل، رجع، فلما تجهز فى العام المقبل خاف أصحابه أن لا تفى لهم قريش بذلك وأن يصدوهم ويقاتلوهم وكره أصحابه القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية:

﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾.

قاله ابن عباس.

ثانيًا: ورُوِىَ أن المشركين قالوا للنبى عليه السلام: انتهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام؟

قال: نعم. وأرادوا ان يفتروه فى الشهر الحرام فيقاتلوا فيه فنزلت هذه الآية:

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

قاله الحسن.

ثالثًا: ورُوِىَ عن ابن عباس أنه قال: نزلت فى عمرة القضاء وعام الحديبية فى ذى القعدة سنة ست فصده كفار قريش عن البيت فانصرف ووعده الله سبحانه أن سيدخله فدخله سنة سبع وقضى نسكه فنزلت هذه الآية: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

رابعًا: وروى ابن جرير الطبرى عن "أسلم أبى عمران" قال: كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر "عقبة بن عامر" وعلى أهل الشام "نضالة بن عبيد" فخرج صف عظيم من الروم فصففنا لهم نحمل رجلاً من

المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقام "أبو أيوب الأنصارى" صاحب رسول الله ﷺ فقال:

أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصريه قال بعضنا سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الإسلام فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله فى كتابه يرد علينا ما هممنا به:

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾.

فكانت التهلكة الإقامة فى الأموال وإصلاحها وتَرْكِنا الغزو، فما زال "أبو أيوب" غازيًا فى سبيل الله حتى قبضه الله ودفن بالقسطنطينية.

## لطائف التفسير

**اللطيفة الأولى:**

لا يذكر فى القرآن الكريم لفظ "القتال" أو "الجهاد" إلا وهو مقرون بعبارة "سبيل الله" وذلك يدل على أن الغاية من القتال غاية مقدسة نبيلة هى "إعلاء كلمة الله" لا السيطرة أو المغنم أو إظهار الشجاعة أو الاستعلاء فى الأرض وقد وضح هذه الغاية النبيلة قوله عليه السلام:

**"من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله"**

**اللطيفة الثانية:**

قال الزمخشرى عند قول الله تعالى:

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾.

أى المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل.

وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟

قال: الذى يتمنى فيه الموت.

جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل:

لقتل بحد سيف أهون موقعاً          على النفس من قتل بحد فراق

**اللطيفة الثالثة:**

قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

قال الإمام الفخر: فإن قيل: لم سمى ذلك القتل عدوانًا مع أنه حق وصواب؟

قلنا: لأن ذلك القتل جزاء العدوان، فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.

قال الزجَّاج: والعرب تقول: ظلمنى فلان فظلمته أى جازيته بظلمه، وجهل فلان علىَّ فجهلتُ عليه، وعليه قول الشاعر:

ألا لا يجهلنَّ أحد علينا          فنجهل فوق جهل الجاهلينا

**اللطيفة الرابعة:**

قول تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾.

الدفاع عن النفس مشروع ولا يعد اعتداء، وإنما سمى فى الآية اعتداء "فاعتدوا عليه" من باب "المشاكلة" وهى الاتفاق فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى كقول القائل:

قالوا اقترحْ شيئًا نجد لك طبخه          قلت اطبخوا لى جبة وقميصًا

والأصل فيها: "فمن اعتدى عليكم" فقابلوه وجازوه بمثل ما اعتدى عليكم، وباب المشاكلة وردت فيه آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾.

وقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.

وقوله: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾.

**اللطيفة الخامسة:**

قال بعض العلماء:

لا أعلم مصدرًا جاء فى لغة العرب على وزن "يَفْعُلة" بضم العين إلا فى هذه الآية:

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾.

وقال صاحب الكشّاف: ويجوز أن يقال:

أصله التهلكة كالتجربة والتبصِرة على أنه مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء فى الجوار.

قال الإمام الفخر: إنى لأتعجب كثيرًا من تكلُّفات هؤلاءِ النحويين فى أمثال هذه المواضع، وذلك أنهم لو وجدوا شعرًا مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به واتخذوه حجة قوية، فوُرُوُد هذا اللفظ فى كلام اللّه تعالى المشهود له من الموافِق والمخالِف بالفصاحة أوَلى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها.

أقول: ماذكره الإمام الفخر هو الحق والصواب فالقرآن الكريم حجة على اللغة وليست اللغة حجة على القرآن ورضى اللّه عن الإمام الفخر فقد أجاد فى هذا و أفاد.

**اللطيفة السادسة:**

الجهاد فى سبيل الله أفضل القربات عند الله ولا يعدله شىء من العبادات لقوله عليه السلام: **"مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله".**

كتب "عبد الله بن المبارك" إلى "الفُضَيلُ بن عياض" بهذه الأبيات

| | |
|---|---|
| ياعابد الحرمين لو أبصرتنا | لعلمتَ أنك فى العبادة تلعبُ |
| مَن كان يخضب خده بدموعه | فنُحورُنا بدمائنا تتخضبُ |
| أو كان يُتعِب خيله فى باطل | فخُيولُنا يوم الصبيحة تتعبُ |
| ريح العبير لكم ونحن عبيرنا | وَهَجُ السنابك والغبار الأطيبُ |

فلما قرأها الفُضَيلُ ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى.

## الأحكام الشرعية

**الحكم الأول: متى فرض الجهاد على المسلمين؟**

لم يختلف العلماء فى أن القتال قبل الهجرة كان محظورًا على المسلمين بنصوص كثيرة فى كتاب الله تعالى منها قوله تعالى:

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾.

وقوله: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾.

وقولة: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾.

وأمثال هذه الآيات كثيرة تدل على أن المؤمنين كانوا منهيين عن قتال أعدائهم.

وهناك نص صريح بالكف عن القتال وهو قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية .

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس انه قال: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا فى عز و نحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة.

فقال عليه الصلاة والسلام:

**"إنى أُمِرْتُ بالعفو فلا تقاتلوا"**

فلما حوَّله الله إلى المدينة أُمِرَ بالقتال فكَفُّوا، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ الآية.

والحكمة فى الكَفِّ عن القتال فى بدء الدعوة يمكن أن نلخص أسبابها فيما يلى:

أ) إن المسلمين كانوا فى مكة قلة، وهم محصورون فيها لاحول لهم ولا قوة، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لأبادوهم عن بكرة أبيهم، فشاء الله ان يَكْثُروا وأن يكون لهم أنصار وأعوان وأن يرتكزوا على قاعدة آمنة تحميها الدولة، فلما هاجروا إلى المدينة المنورة أُذِنَ لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثُرَ عددهم.

ب) كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر امتثالاً للأمر وخضوعًا للقيادة وانتظارًا للإذن. وقد كان العرب فى الجاهلية شديدي الحماسة لا يصبرون على الضيم، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة والخفة للقتال عند أول داع، فكان لابد من تمرينهم على تحمل الأذى والصبر على المكاره والخضوع لأمر القيادة العليا، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروِّى والحميَّة والطاعة فى جماعة هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم.

ج) البيئة العربية كانت بيئة نخوة ونجدة وكان صبر المسلمين على الأذى وفيهم الأبطال الشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين مما يثير النخوة ويحرك القلوب نحو الإسلام.

حصل هذا بالفعل فى "المحاصرة فى الشعب" عند أجمعت قريش على مقاطعة بنى هاشم كى يتخلوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد الاضطهاد على بنى هاشم ثارت نفوس لم تؤمن

بالإسلام أخذتها النخوة والنجدة حتى مزقوا الصحيفة التى تعاهد فيها المشركون على المقاطعة وانتهى ذلك الحصار المشئوم.

د) كان المسلمون فى مكة يعيشون مع آبائهم وأهليهم فى بيوت وكان أهلوهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم إلى الشرك والضلال، فلو أذن للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم يومذاك لكان معنى هذا أن تقوم معركة فى كل بيت وأن يقع دم فى كل أسرة وليس من مصلحة الدعوة أن تثار حرب دموية داخل البيوت فلما حدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

**الحكم الثانى: ماهى أول الآيات فى تشريع القتال؟**

اختلف السلف فى أول آية نزلت فى القتال فروى عن "الربيع بن أنس" وغيره أن أول آية نزلت هى قوله تعالى:

﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾.

نزلت بالمدينة، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه.

وروى عن جماعة من الصحابة منهم "أبو بكر الصديق" و"ابن عباس" و "سعيد بن جبير" أن أول آية نزلت فى القتال هى قوله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

من سورة الحج.

قال أبو بكر بن العربى:

والصحيح أن أول آية نزلت آية الحج ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ ثم نزل ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ فكان القتال إذنا ثم

أصبح بعد ذلك فرضًا، لأن آية الإذن فى القتال مكية وهذه الآية مدنية متأخرة.

**الحكم الثالث: هل يباح القتال فى الحرم؟**

دل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾.

على حرمة القتال فى الحرم إلا إذا بدأ المشركون بالعدوان فيباح لنا قتالهم دفعًا لشرهم وإجرامهم، ولا يجوز لنا أن نبدأهم بالقتال عملاً بالآية الكريمة.

وعلى هذا تكون الآية مُحكَمة غير منسوخة، وقد روى عن مجاهد فى قوله تعالى:

﴿ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾

أنه قال: لا تقاتل فى الحرم أحدًا أبدًا فمن عدا عليك فقاتَلك فقاتِله كما يُقاتِلك.

وروى عن قتادة أنه قال: الآية منسوخة نسختها آية براءة ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾.

قال العلامة القرطبى:

وللعلماء فى هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة.

والثانى: أنها محكمة.

قال مجاهد: الآية محكمة ولا يجوز قتال أحد فى المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل.

وبه قال طاووس، وهو الذى يقتضيه نص الآية وهو الصحيح من القولين وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه.

ويدل عليه ما روى فى الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب يوم فتح مكة فقال:

**"يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، ولم تحلّ لأحدٍ قبلى ولا تحلّ لأحدٍ بعدى، وإنما أُحلت لى ساعة من النهار ثم عادت حرامًا إلى يوم القيامة"**

**مناظرة لطيفة:**

قال القاضى أبو بكر بن العربى:

"حضرت فى بيت المقدس - أبهره الله - بمدرسة أبى عقبة الحنفى والقاضى الزنجانى يلقى علينا الدرس فى يوم جمعة، فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا رجل بهى المنظر على ظهره إطمار فسلم سلام العلماء وتصدر فى صدر المجلس فقال له الزنجانى: من السيد؟

فقال: رجل سلبه الشطار أمس "قطاع الطريق" وكان مقصدى هذا الحرم المقدس وأنا رجل من صاغان من طلبة العلم.

فقال القاضى مبادرًا: سلوه - على العادة فى إكرام العلماء بمبادرة سؤالهم - ووقعت القرعة على مسألة "الكافر إذا التجأ إلى الحرم هل يُقتَل فيه أم لا؟"

فأفتى بأن لا يقتل. فسئل عن الدليل فقال الله تعالى يقول:

﴿ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾.

قرىء: "ولا تقتلوهم"

وقرىء: "ولا تقاتلوهم"

فإن قرىء: "ولا تقتلوهم" فالمسألة نص.

وإن قرئ: "ولا تقاتلوهم" فهو تنبيه لأنه إذا نهى عن القتال الذى هو سبب القتل كان دليلاً بيِّنًا ظاهرًا عن النهى عن القتل، فاعترض عليه

القاضى الزنجانى منتصراً للشافعى ومالك - وإن لم ير مذهبهما على العادة - فقال هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾.

فقال له الصاغانى:

هذا لا يليق بمنصب القاضي و علِمه، فإن هذه الآية التى اعترضتَ بها علىَّ "عامة" فى الأماكن، والآية التى احتججتُ بها "خاصة"، ولا يجوز لأحد أن يقول: إن العام ينسخ الخاص.

فأبهت القاضى الزنجانى وهذا من بديع الكلام.

قال ابن العربى:

"فثبت النهى عن القتال فيها قرآنًا وسنة، فإن لجأ إليها كافر فلا سبيل إليه، وأما الزانى والقاتل فلابد من إقامة الحد عليهما، إلا أن يبتدىء الكافر بالقتال فيها فيُقتَل بنص القرآن".

**الحكم الرابع:**

ما المراد بالعدوان فى الآية الكريمة؟

حرَّم البارى جل وعلا الاعتداء فى قوله:

﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

أ) ويدخل فى ذلك ارتكاب المناهى- كما قاله الحسن البصرى من المثلة و الغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا قدرة لهم على القتال.

ويدخل فيه قتل الرهبان وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة فكل هذا داخل فى النهى "ولا تعتدوا".

ويدل عليه ما رواه مسلم عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال:

**"اغزوا بسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع"**

وفى الصحيحين عن ابن عمر أنه قال:

**"وُجِدَتْ امرأة فى بعض مغازى النبى ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان".**

ب) وقيل المراد بقوله: "ولا تعتدوا" النهى عن البدء بالقتال وهو مروى عن مقاتل.

ج) وقيل المراد به النهى عن قتال من لم يقاتل وهو قول سعيد بن جبير وأبى العالية.

قال القرطبى: ويدل عليه من النظر أن قاتل "فاعل" لا يكون فى الغالب إلا من اثنين كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة والقتال لا يكون فى النساء ولا فى الصبيان ومن أشبههم كالرهبان.

والزمنى والشيوخ فلا يقتلون وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه "يزيد بن أبى سفيان"، حين أرسله إلى الشام إلا أن يكون لهؤلاء إذاية، وللعلماء فيهم صور ست:

- الأولى: النساء إن قَاتَلْن قُتِلْن، لعموم قوله تعالى:
  ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ ﴾.

- الثانية: الصبيان فلا يقتلون، للنهى الثابت عن قتل الذرية، ولأنه لا تكليف عليهم.
- الثالثة: الرهبان لا يُقتَلون ولا يُستَرقون، لقول أبى بكر **"فذرهم وما حَبسوا أنفسهم له".**
- الرابعة: الزَّمنى، إن كانت فيهم إذاية قُتِلوا وإلا تُرِكوا وما هم بسبيله من الزمانة.

- الخامسة: الشيوخ، قال مالك: لا يُقتلون، وهو قول جمهور الفقهاء إذا كان لا ينتفع بهم فى رأى ولا مدافعة.
- السادسة: العسفاء؛ وهم الأجراء والفلاحون، لقول عمر: "اتقوا الله فى الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب".

**ما ترشد إليه الآيات الكريمة:**

١) القتال ينبغى أن يكون لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه.
٢) الله جل وعلا يكره العدوان والظلم والطغيان أيًا كان مصدره.
٣) فتنة المؤمنين بالاضطهاد والتعذيب والتشريد مثل القتل.
٤) لا يعتدى على النساء والضعفاء والصبيان ممن لا قدرة لهم على القتال.
٥) الجهاد لدفع أذى المشركين وقبر الفتنة وتأمين سير الدعوة.
٦) ترك الإنفاق والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس سبب للهلاك.

**حكمة التشريع:**

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم هذه الحياة لا يهدأ ولا ينتهى ولا يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

ولا بد لكل أمة من أمم الأرض تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة عدوها بكل ما تملك من قوة، وأن تأخذ بأسباب النصر فتهيىء شبابها للجهاد والقتال، لأنه لا عيش فى هذه الدنيا إلا للأقوياء ولا منطق إلا القوة، وقديما قال شاعرنا العربى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يُهدَّم ومن لا يَظلِم الناسَ يُظلمِ

والإسلام دين الله إلى الإنسانية يهتم بدعوة الناس إلى الدخول فى هدايته والانضواء تحت رايته لينعموا بحياة الأمن والاستقرار ويعيشوا العيشة الكريمة التى أرادها الله لبنى الإنسان، وأن الأمة الإسلامية هى

الأمة التى أختارها الله لإعلاء دينه وتبليغ وحيه وإيصال هذا الهدى والنور إلى أمم الأرض، فإذا وقف أحد فى طريق الدعوة وأراد أن يصدها عن المضىّ فى طريقها فلابد من دحره وتطهير الأرض من شره لتصل هداية الله إلى النفوس وتعلو كلمة الحق ويأمن الناس على حريتهم الدينية فى الإيمان بالله الواحد القهار.

ولذلك شرع القتال لدفع عدوان الظالمين ولتحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإيصالها للناس فى حرية واطمئنان، وصدق الله:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ولا يقاتل إلا الباغى المعتدى الذى يريد أن يفرض إرادته على الأمة بالقهر والسلطان وأن يصد عن دين الله بقوة الحديد والنار ويفتن المؤمن بوسائل الفتنة والإغراء ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

**السؤال الثانى: كيف تكون محاسبة النفس حتى لا تقع فى الغواية؟**

**الإجابة:**

النفس الذاكرة لله تعالى فى حالة محاسبة، لأنها بذكرها الله امتلأت خشية وخشوعًا إذا مرتْ بآية تبشر بالجنة بكتْ شوقًا إليها، وإذا مرتْ بآية تنذر من عذاب النار شهقت شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيها، فهى دائمًا بين نور الوعد ونيران الوعيد، وهى دائمًا وَجِلة ومطمئنة، والمحاسبَة ظاهرة صحية، والنفس اللوامة فى حال محاسبة لصاحبها، وقد أمر الله تعالى بالنظر فيما قدمت النفس لغد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وحذر الله تعالى من النسيان: قال سبحانه:

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾.

وأمر جل جلاله عباده أن يحذروا عقابه فقال:

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ كما دعا إلى وقفة تأمل فى المصير المحتوم فقال:

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

فتأمل معى كيف عبر عن يوم القيامة بالغد وكأنه لقربه وتحقق وقوعه أصبح كاليوم الذى يلى يومك.

قال سبحانه فى آخر سورة الحجر:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.

واليقين هنا هو الموت الذى لا مفر منه

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

نعم! إن الموت أمر يقين بل هو عين اليقين.

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ

مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾.

نعم إن اليقين هو الموت الذى لا مفر منه فلا حيلة فى الرزق ولا شفاعة فى الموت ولا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ولا راحة فى الدنيا إلا فى رضا الله:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

كلُ ابن أنثى وإنْ طالت سلامته ... يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ
فإذا حملتَ إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمولُ

وكأنى بتلك الآلة الحدباء تقول لابن آدم:

انظر إلىَّ بعقلكْ أنا المهيأ لنقلِكْ ... أنا سرير المَنايا كمْ سار مثلي بمثلكْ

وبين سور القرآن الكريم مناسبات قوية:

فالقرآن لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط بينهما ناظم، لما ختم الله تعالى سورة الحجر بقوله:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.

بين لنا بعد ذلك ماذا بعد اليقين فقال فى سورة النحل:

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

والمراد بأمر الله هنا القيامة وإنما عبر عنها بالفعل الماضى.

فقال: "أتى" لأنها متحققة الوقوع.

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.

كذلك يؤكد الله لنا هذا المعنى المتعلق بإتيان الساعة وقربها حتى لا تأخذنا الغفلة وتستولى علينا مشاغل الحياة فيقول سبحانه فى أول سورة الأنبياء:

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾.

ثم زاد الأمر توكيدا فقال:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾.

صدقت يا ربنا وتعاليت فنحن نؤمن بك ونتوكل عليك.

لقد أمرتنا بالنظر فيما قدمنا للغد المتحقق الوقوع ونهيتنا عن التشبه بقوم غلاظ الأكباد جفاة الطباع قساة القلوب.

نسوا الله و غفلوا عن ذكره فصارت قلوبهم أشد من الحجارة قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله، فكان الجزاء من جنس العمل فأنساهم أنفسهم وحسبك بأن ينسى الإنسان نفسه.

إنه حينئذ كأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق.

إنه يومئذ كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، إنه وقتئذ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه.

إنه لخطيئة كسراب بقيعة يحسبه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

إن من أنساه الله نفسه عاش فى ظلمات فى بحر لُجِّى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور.

فإذا ما أنساه الله نفسه نسيه وما أدراك ما نسيان الله للعبد، إنه عندئذ يتغلغل فى دوامة عنيفة وكأنه همسة خاطفة فى صخب جهنم، قال تعالى:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

ومن ثم جاءت المقارنة فى قوله جل شأنه:

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

وكيف يستويان وإنما قدم أصحاب النار على أصحاب الجنة فى هذه الآية للمبادرة بالوعيد حتى تعود النفس إلى حظيرة القدس ومعارج النور دون ما تسويف أو تأخير لغد فإن الموت يأتى بغتة.

| | |
|---|---|
| تزوَّدْ من حياتك للمعادْ | وقم لله واجمع خيرَ زادْ |
| ولا تركن إلى الدنيا كثيرًا | فإن المال يجمع للنفادْ |
| أترضَى أن تكون رفيقَ قومٍ | لهم زادٌ وأنت بغير زادْ |

**السؤال الثالث:**

ما هى قصة الجماعة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، مع شرح هذا الحديث الشريف؟

**الإجابة:**

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى فلما أخبروا كأنهم تقالوها.

فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فبلغ النبى ﷺ ذلك فحمد الله وأثنى عليه وقال:

**"ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى"** "رواه البخارى".

تفسير المفردات:

**الرهط:** الجماعة من ثلاثة إلى عشرة أو ما دون العشرة ليس فيهم امرأة ويدل على الواحد أيضًا.

**تقالوها:** استصغروها وعدوها قليلة

**ما بال أقوام:** ما شأنهم وما حالهم؟

**رغب عن سنتى:** حاد عن طريقتى.

الشرح:

قدم هؤلاء الثلاثة إلى أزواج النبى ﷺ يسألونهم عن عبادته، فلما عرفوها بدت فى أنفسهم أقل مما كانوا يتصورون، لكنهم ردوا ذلك إلى أن النبى ﷺ ليس فى حاجة إلى قضاء الليل والنهار فى العبادة، لأن جهاده فى نشر الدين وفى تعليم الناس أحكامه عبادة، ولأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أما هم فلا سبيل أمامهم لرضا الله إلا كثرة العبادة، فاعتزم أحدهم أن يقضى الليل فى تهجد، وعزم الآخر على أن يصوم الدهر كله، ورأى الثالث أن يقضى حياته أعزب ليتفرغ للعبادة.

فلما علم النبى ﷺ بمقالتهم خطب الناس فقال: لقد سمعت أن جماعة قالوا كذا وكذا، وإنى لأعظمكم حبًا لله، وأشدكم خوفًا منه، وأرغبكم فى طاعته، لكننى مع ذلك أصوم وأفطر، ولا أقضى حياتى صائمًا، وأصلى بالليل وأنام ولا أقضى ليلى قائمًا، وأتزوج النساء ولا أعتزلهن ولا أترهب، فمن خالف طريقتى فقد حاد عن تعاليمى.

**ما يرشد إليه الحديث:**

١) لا يكون التقرب إلى الله بأن يكلف الشخص نفسه مالا يطيق من العبادة، لأنه بذلك يجحد حقوق جسمه ويقصر فى مطالب الحياة الأخرى ويعجز عن القيام بحقوق نفسه وبحقوق المجتمع، فلنفسه عليه حق الراحة وحق الاستمتاع بالمباح الحلال من لذات الحياة، ولأسرته عليه حق الرعاية والعناية والسعى فى كسب الرزق، وللمجتمع عليه حق المشاركة بجهده فى العمل والإنتاج لينفع كما ينتفع ولينتج كما يستهلك.

٢) لا رهبانية فى الإسلام، لأن الإسلام دين العاملين لدنياهم ولآخرتهم، وما خلق الله الحياة الدنيا ليقضيها الناس فى نسك وانزواء وتحريم لما أحل الله، وإنما خلقها للعبادة والعمل معًا، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾.

٣) يفهم من الحديث أن الإسلام يحض على الزواج لأنه استجابة لنداء الطبيعة ووسيلة إلى استدامة الحياة وعمران الأرض وعصمة من الزلل هذا إلى ما فيه من سعادة بالأبناء وسكن إلى الزوجات.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.

وقال ﷺ: **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج".**

٤) يفهم من الحديث أن الإسلام لا يحظر الحلال من الطعام الطيب والشراب السائغ والملبس الفاخر الذى لا سرف فيه ولا خيلاء. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾.

٥) من الكياسة ان يقتدى كل منا بالرسول ﷺ فى طريقة النصح، فإنه ﷺ لم يُسَمِّ هؤلاء الثلاثة فى الجَمْع الذى خطب فيه، بل قال: **"ما بال أقوام"** وبذلك عرَّفهم وعرَّف غيرهم الصواب فى غير إساءة إليهم ولا توبيخ لهم، وهذا نبل فى الخلق وسمو فى الآداب، ومن أَحقُّ بذلك منه وهو الذى قال فيه الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

٦) من الخير أن يَحذَر المسلمون المغالاة فى التدين، لأن المغالاة تضر بهم وتُنفِّر غيرهم من الدين، إذ يمثلونه شاقاً عنيفاً، وهو فى الحقيقة دين كله يُسر وخير.

**السؤال الرابع:**

ما شأن الوصية التى أرادها سعد بن أبى وقاص فى مرضه وماذا قال له الرسول ﷺ عندما عاده فى هذا المرض.

نرجو ذكر الحديث مع ذكر التعليق عليه.

**الإجابة:**

**عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عن قال "مرضت عام الفتح مرضًا أشفيت منه على الموت، فاتانى رسول الله ﷺ يعودنى فقلت: يا رسول الله إن لى مالاً كثيرًا وإنى أورث كلالة فأوصى بمالى كله؟ قال: لا . قلت: فالشطر. قال: لا. قلت: فالثلث قال: الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك" (رواه البخارى ومسلم)**

تفسير المفردات:

أشفى على الموت: أشرف عليه.

يعود المريض: يزوره.

الكلالة: هو من لا والد له ولا ولد يرثه عندما يموت.

الشطر: النصف.

تدع: تترك.

عالة: فقراء محتاجين.

- يتكففون: يمدون أكفهم سائلين أو يسألون الكفاف أو يسألون ما يكف عنهم حدة الجوع تبتغى بها وجه الله: تقصد به رضا الله وثوابه.

الشرح:

إلى أى مدى يحق لنا أن نتصرف فى أموالنا بالوصية أو بغيرها عندما تقترب آجالنا؟ وهل يثيبنا الله على المال الذى ننفقه على أهلنا من آباء وأولاد وزوجات وأقارب؟

يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذا فى قصة سعد بن أبى وقاص عندما مرض فخشى الموت على نفسه فانتهز فرصة زيارة الرسول وسأله عما إذا كان يحل له أن يوصى بماله كله؟

ولقد كان سعد غنيًا واسع الثراء ولم يكن له عام الفتح أولاد فسأل الرسول صلوات الله عليه:

هل له أن يوصي بماله كله؟ وفى رواية أخرى أن السؤال كان فى عام حجة الوداع لا فى عام الفتح وأن سعدًا كانت له حينذاك ابنه واحدة وأن السؤال كان عن حقه فى أن يوصى بثلثى ماله.

وأيًا ما كان الأمر فقد أجاب الرسول ﷺ عن سؤال سعد، فمنع الوصية بأكثر من الثلث، ووصف الثلث بأنه كثير، وعلل لهذا المنع بحق الورثة على مورثهم فى أن يدع لهم ما يعيشون به، ثم أكد أن الثواب - وهو ما يحرص عليه من يريد الوصية بأكثر من الثلث - تكفله له النفقة على أقاربه وعلى كل من يعول حتى زوجته ما دام يقصد بنفقته رضا الله.

وقد جاء جواب النبى ﷺ على سؤال سعد حكيمًا محققًا لمصالح صاحب المال ووارثه الموصى له.

أما صاحب المال فإن له حق الإيصاء بثلث ماله لم يسلب هذا الحق ولم يقيد فى استعماله بما يشبه أن يكون حجرًا عليه وفى منحه هذا الحق مصلحة له:

هى مصلحة التقرب إلى الله بالإيصاء للفقراء والمساكين وللمرافق العامة وجهات البر.

وأما الوارث فإن له الحق فى حجز ما زاد على الثلث إن أوصى به صاحب المال: بل لقد رغب الرسول صاحب المال فى أن يدع ورثته أغنياء قائلاً لهم: "**إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس**" فقد وزن بين حال الورثة وهم أغنياء وحالهم وهم فقراء محتاجون

يمدون أيديهم إلى الناس ليحفز صاحب المال إلى الاحتفاظ لهم بثلثى ماله على الأقل.

وأما الموصىَ له فواضح أن حصوله على ثلث ما تركه الموصى يكفل مصلحته ويحققها على أكمل وجه، وهذا هو ما عناه الرسول بقوله: والثلث كثير. على أن الرسول لم يكتف بذلك التعليل بل أضاف إليه قوله: "**وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك**".

فأَبَانَ لصاحب المال أن ثواب الله لن يفوته إذا هو اقتصر على الثلث رعاية لحق ورثته، وأن كل ما ينفقه قاصداً به رضا الله حسنة سيثاب عليها، حتى ما يأكله هو إذا قصد به التقوِّى على العبادة، وما تأكله زوجته إذا قصد به امتثال أوامر الله فى كفالة الزوجة، وما ينفقه على إطعام أولاده أو كسوتهم أو تعليمهم أو علاجهم إذا كانت غايته من إنفاقه هى التقرب إلى الله لتنشئتهم على طاعته وتقواه، وما يعين به والديه على مطالب الحياة وحاجاتها إذا كان بهذه الإعانة مستجيباً لأمر الله بالإحسان إليهما، وهكذا سائر الأقارب.

**ما يرشد إليه الحديث:**

١) عيادة المريض واجبة على أهله وذويه وعلى الحاكم إذا سمح بها وقته لأنها من أخلاق النبوة.

٢) الإسلام لا يريد للمسلمين الضعف أو الذل بسبب الفقر بل هو لا يرضاه لهم فعليهم أن يكونوا أقوياء أعزاء ولكن على ألا يكذبوا ولايدلسوا.

٣) المرء يثاب على كل عمل يقصد به رضا الله ولو كان مما تتطلبه الفطرة.

٤) جمع المال من طرقه المشروعة مطلوب وإنفاقه فى وجوه البِرّ مرغوب فيه، ولكن على ألا تهمل الحقوق الأخرى فيه.

٥) الوصية بأكثر من الثلث ممنوعة متى كان هناك ورثة للموصى.

٦) ينبغى لمن ترك مالاً قليلاً وورثته فقراء أن يدع الوصية مراعاة لحال الورثة.

٧) صلة الرحم وبر الأقارب أفضل من صلة الأجانب وبرهم، فعن ثوبان مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ: **"أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله، ودينار ينفقه أصحابه فى سبيل الله".**

٨) الإسلام يعنى بحقوق الفرد والأسرة عنايته بحقوق الجماعة، فهو بحق دين الفطرة.

تم بحمد الله تعالى كتابنا:

"رحلة مباركة مع القرآن العظيم"

عبد الحميد كشك

## الفهرس



رقم الإيداع
٢٠٠٦ / ١٣٥٨٣

I. S. B N. الترقيم الدولى
977 – 209 – 148 - 8

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ عبد الحميد كشك الداعية الإسلامي قدم له مريديه ومحبيه فى العالم الإسلامي العديد من الأحاديث المسجلة التى تحمل الدعوة الإسلامية الخالصة الصادقة الجريئة..

والعصر الذى نعيشه والأجيال الصاعدة التى تمزقها الحيرة بين الخطأ والصواب يدعونا إلى أن نعيش الدعوة الإسلامية تاريخها وحقائقها بقدر ما نعيش واقعها ومسيرتها.

وإسهاما فى ملء فراغ يشعر به الجميع فى هذا المجال نقدم مكتبة الشيخ عبد الحميد كشك فى:

١- طريق النجاة
٢- البطولة فى ظل العقيدة
٣- رياض الجنة
٤- نفحات من الدراسات الإسلامية
٥- بناء النفوس
٦- أصحاب النفوس المطمئنة
٧- حياة الإنسان
٨- مع التوحيد والأخلاق
٩- اليوم الحق
١٠- صور من عظمة الإسلام
١١- إرشاد العباد
١٢- أضواء من الشريعة الغراء
١٣- البعث والجزاء
١٤- شفاء القلوب
١٥- حقائق وحديث عن الروح
١٦- حديث من القلب
١٧- الصلاة رأس العبادات
١٨- الإسلام وأصول التربية
١٩- الوصايا العشر فى القرآن الكريم
٢٠- ورثة الفردوس
٢١- الهدى والنور
٢٢- جدد السفينة
٢٣- أعد الزاد
٢٤- الفتوحات الربانية
٢٥- رحلة إلى الدار الآخرة
٢٦- صم عن الدنيا وافطر على الموت
٢٧- الصراع بين النفس والمال
٢٨- اخلص العمل فإن الناقد بصير
٢٩- صاحب الرسالة العصماء
٣٠- سياحة مباركة
٣١- فضل القرآن يوم الحشر
٣٢- مصارع الظالمين
٣٣- الصلح مع الله
٣٤- الناس بخير ما تناصحوا
٣٥- الوقوف بين يدى الله تعالى
٣٦- على مائدة الإسلام
٣٧- غذاء الروح
٣٨- هالات من نور
٣٩- ساعة صفاء على النفس
٤٠- فى رحاب السكينة
٤١- الإسلام شجرة طيبة
٤٢- إذا ذكر الله نزلت ال[illegible]
٤٣- رسائل رحمانية النـ[illegible]
٤٤- من جوار الخلق إلى [illegible]
٤٥- منطق الحق المبين
٤٦- فى ساحة الحساب
٤٧- يا رب كيف أشكرك
٤٨- حديث عن الصالحـ[illegible]
٤٩- الخوف والرجاء
٥٠- شعاع من نور الإيـ[illegible]
٥١- قصة البشرية
٥٢- سحائب الرحمة
٥٣- الأمن فى ظل الإسـ[illegible]
٥٤- الدين المعاملة
٥٥- الأمانة
٥٦- رحلة مباركة مع القرآن العظيم



احمد يحيى